جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

معهد تسيير التقنيات الحضرية

قسم تسيير التقنيات الحضرية

مطبوعة بيداغوجية مقدمة لطلبة السنة الأولى ليسانس جذع مشترك

تخصص تسيير التقنيات الحضرية

بعنوان:

مدخل إلى علم العمران 1

من إعداد الدكتورة: بركاني فطيمة الزهراء

السنة الجامعية: 2024-2025

الفهـــــــــرس:

الرقم	العنوان	الصفحة
	مقدمة عامة.....	1
	الفصل الأول: العمران مقاربة عامة	2
	مقدمة	2
1	أصل مصطلح العمران.....	2
2	تعريف العمران.....	3
3	المشاكل الكبرى التي يعالجها العمران.....	4
4	العمران أسلوب تهيئة افتراضي للمجال السكني ومجال للصراع والسلطة.....	4
	خلاصة	7
	الفصل الثاني: تاريخ المدن	8
	مقدمة.....	8
1	عوامل ظهور المدن.....	8
2	تعريف المدينة.....	9
3	تاريخ المدن.....	10
1-3	المدن القديمة (من الألف 5 قبل الميلاد إلى سنة 476 م).....	10
1-1-3	المدن في الحضارة المصرية القديمة أو المدينة الفرعونية:(من الألف 5 قبل الميلاد إلى سنة 31 ق م) مدينة الأهرامات.....	10
2-1-3	المدن في حضارة بلاد الرافدين أو ما بين النهرين أو العراق القديم(الألف 3 قبل الميلاد إلى سنة 562 ق م) مدينة الحدائق المعلقة.....	13
3-1-3	المدن في الحضارة اليونانية القديمة أو الإغريقية(من سنة 2600 ق م الى 338 ق م) مدينة الفلاسفة.....	15
4-1-3	المدن في الحضارة الرومانية القديمة أو البيزنطية (من الألف 2 قبل الميلاد إلى سنة 476 م) مدينة المحاربين.....	17
2-3	مدينة العصور الوسطى (476 م الى القرن 15 م).....	20
1-2-3	المدينة الأوروبية الإقطاعية(مدينة العصور المظلمة).....	20
2-2-3	المدينة الإسلامية.....	22
3-3	مدينة عصر النهضة الأوروبية (من القرن 16 إلى بداية القرن 18) مدينة الفن.....	24
4-3	مدينة الثورة الصناعية وما بعد الثورة الصناعية (نهاية القرن 18 والقرن 19م).....	28
1-4-3	بالنسبة إلى المدن الأوروبية.....	28
2-4-3	بالنسبة للمدن العربية	32
5-3	المدينة الحديثة (النصف الأول من القرن العشرين).....	33
1-5-3	النماذج التخطيطية للمدن التابعة للتيار الإنساني.....	33
2-5-3	النماذج التخطيطية للمدن التابعة للتيار التقدمي.....	34
6-3	المدن المعاصرة (من النصف الثاني من القرن العشرين إلى غاية اليوم).....	36
1-6-3	مستويات العمران المستدام.....	36
2-6-3	أدوات عمران المشاريع.....	37
	خلاصة.....	37
	الفصل الثالث: تيارات العمران	38
	مقدمة.....	38

1	التيار الثقافي أو الإنساني أو التراثي(culturaliste ou humaniste).....	38
2	التيار التقدمي (progressiste) (العمران الوظيفي أو الصحي أو الحديث أو المركزي أو القطاعي).....	38
3	التيار الطبيعي (naturaliste) (العمران البيئي أو العمران المستدام).....	41
4	عمران المشاريع (L'urbanisme de projet).....	41
	خلاصة.....	41
	قائمة المراجع.....	42

فهرس الصور

الرقم	العنوان	الصفحة
1	ابن خلدون.....	3
2	الفونسو سيردا.....	3
3	قوس النصر بمدينة باريس.....	6
4	الاهرامات الفرعونية.....	12
5	المسلات الفرعونية.....	12
6	المعابد الفرعونية.....	12
7	الزقورة في بلاد الرافدين.....	14
8	حدائق بابل المعلقة.....	15
9	الاكروبول في المدينة اليونانية.....	16
10	حدائق قصر التريانون في فرساي على الطراز الباروكي.....	26
11	قصر الكريستال المبني من الزجاج والفولاذ في لندن.....	29
12	المدينة المشعة في مرساي.....	35
14-13	مشروع بروث ايغو.....	40

فهرس المخططات

1	مخطط مدينة تل العمارنة.....	11
2	مخطط مدينة تيمقاد.....	18
3	مخطط مدينة مالينز في بلجيكا.....	22
4	مدينة بغداد كمثال للمدينة الإسلامية الدائرية.....	23
5	مدينة القاهرة الفاطمية كمثال للمدينة شبه المتعامد.....	23
6	مخطط مدينة فرساي سنة 1746 م.....	27
7	مخطط المدينة الخطية لسوريا ماتا.....	31
9-8	مخطط المدينة الحدائقية لابنزير هاورد.....	33
10	مخطط المدن التابعة لرموند انوين.....	34

مقدمة عامة:

يعتبر مقياس مدخل إلى علم العمران المقياس الثاني في الوحدة الرئيسية للسداسي الأول من السنة الأولى جذع مشترك في تسيير التقنيات الحضرية، بعد مقياس الورشة، بمعامل 2، وهو مقياس مهم جدا في تكوين الطالب الذي يزاول تكوينه في هذا التخصص، يسمح باكتساب المفاهيم القاعدية التي لا يمكن للطالب أن يستوعب موضوع التخصص مثل المدينة والعمران، بالإضافة إلى المفاهيم الرئيسية للتخصص، والتي في السنوات المقبلة، ستتفرع في شكل مقاييس منفصلة، مثل المشروع الحضري، التخطيط الاستراتيجي، سياسة المدينة....

كما يسمح هذا المقياس للطالب بالتعرف على تاريخ المدن، منذ نشأتها والى غاية اليوم، مبرزا في كل مرحلة العوامل المتحكمة في تخطيط المدينة وأهم العناصر التخطيطية للمدينة، حسب الفترة الزمنية التي تنتمي إليها، وأيضا يسمح له بالتعرف على أهم تيارات علم العمران، مبرزا رواد هذه التيارات، والمبادئ والنظريات التخطيطية التي تبناها كل تيار، بالإضافة إلى نقاط القوة ونقاط الضعف التي تميز هذه التيارات عن بعضها البعض.

وبالتالي فهذه المطبوعة ستكون بمثابة مرجع علمي موثوق، يشرح للطالب محتوى هذا المقياس، حسب البرنامج الرسمي المقترح من طرف الوزارة الوصية، بطريقة مبسطة واضحة ومنظمة، حتى يتمكن طالب السنة الأولى تخصص تسيير التقنيات الحضرية في أول سداسي له من تكوينه الجامعي، من الاندماج بطريقة سلسة في الوسط الجامعي بصفة عامة، وفي تخصص تسيير التقنيات الحضرية بصفة خاصة.

الفصل الأول: العمران مقاربة عامة

مقدمة:

يعتبر علم العمران أحد العلوم الإنسانية، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالتطور بتطور الاحتياجات البشرية، فهو ككل العلوم الأخرى ظهر استجابة لحاجة معينة، تتمثل في المشاكل التي تعاني منها المدينة، التي أصبحت بعد الثورة الصناعية والحروب العالمية تعاني من إختلالات اجتماعية واقتصادية وبيئية وعمرانية.

ثم تطور علم العمران مع تطور المدن، وتفرعت منه العديد من التيارات التي تختلف باختلاف الأهداف التي جاءت لتخدمها، فأبدع المفكرون من مختلف دول العالم في وضع المبادئ والنظريات التي تلبي متطلبات المدن وسكان المدن.

حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى التعرف على أصل مفهوم العمران، إلى تعريفه، وتعريف أهم التحديات الكبرى التي واجهها منذ ظهوره كعلم مستقل بحد ذاته، والتي يواجهها اليوم، ثم سنقوم بعرض لمحة تاريخية عن تطور هذا العلم.

1- أصل مصطلح العمران (urbanisme):

Urbs وهي كلمة لاتينية تعني - مكان تجمع السكان - ومنها جاء مصطلح urbanisme ،حيث ظهر هذا المصطلح لأول مرة في كتاب مهندس الجسور الإسباني Ildefonscerda (ولد 1815- توفي 1876) الذي جاء تحت عنوان النظرية العامة للتعمير (Teoría General de la Urbanización) سنة 1867،حيث أن المصطلح الذي ظهر في هذا الكتاب هو urbanisation أي التعمير وليس urbanisme أي العمران[1]، هذا المصطلح الذي ظهر في اللغة الفرنسية خلال سنوات 1910، ليعبر عن مجال عمل متعدد التخصصات ظهر كرد فعل عن سلبيات الثورة الصناعية والحروب العالمية، مطورا فكرة وطريقة تفكير جديدة حول المدينة.

ويعد ابن خلدون (ولد 1332م- توفي 1406م) من أوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العمران فهو يرى في مقدمته التي ألفها سنة 1377 أن العمران هو" التساكن والتنازل في مكان ما، للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات[2]"، وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق(الجمع بين البعد العمراني والاقتصادي والاجتماعي، ففكرته أكثر تطور من الأوروبية).

[1] Laurent coudroy, Cérda et l'urbanisme, urbanisme n°312, mai2000, p : 11-15 .

[2] بن عبد الرحمان محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1377، ص:190.

الصورة رقم 01: ابن خلدون **الصورة رقم 02: الفونسو سيردا**

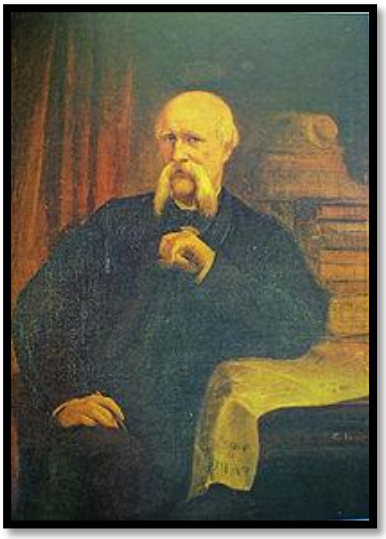

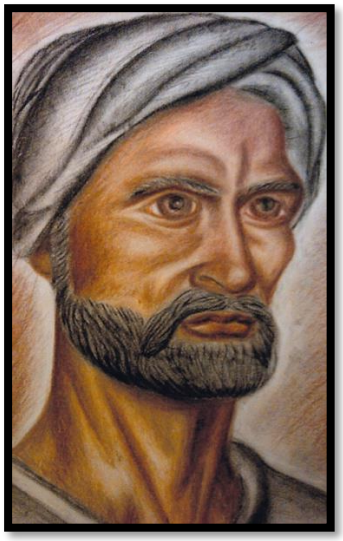

المصدر:

http://www.google.dz/imgres?imgurl=https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/c/c0/Ibn_Khaldun

http://www.google.dz/imgres?imgurl=https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/5/59/PortraitIldefonsCerda.

2- تعريف العمران:

- **لغة:** في اللغة عمر المكان أي كان مسكوناً بالناس وعمر الدار أي بناها والعمران هو البنيان أو ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة والتجارة والبناء.[3]
- **اصطلاحا:** العمران هو علم، فن،وتقنية تنظيم المجال،وهو يضم جميع أنواع التدخلات المنظمة على المجال المبني والقابل للبناء.

أما Alberto zucchelli فهو يرى في كتابه مدخل إلى العمران العملي والى التركيبة العمرانية (introduction à l'urbanisme opérationnel et à la composition urbaine) الذي صدر سنة 1983 بأن العمران هو " مجموعة المعارف التاريخية و الثقافية ، و مجموعة المذاهب والتقنيات التي تعالج إشكالية تنظيم وتحويل النظام الحضري ، كما انه مجموعة مبادئ ،هياكل ، وسائل ومحتويات السياسات الحضرية المطبقة أو المقترحة خلال مختلف المراحل التاريخية، السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، أما مجال تطبيقه المبدئي هو المدينة، ثم يتوسع ليشمل كل الإقليم، أين يتم دراسة العلاقات الريفية الحضرية ضمن مفهوم أوسع يتمثل في التهيئة الإقليمية". [4]

[3] البدالي المترجي، مفهوم العمران في ضوء القرآن، مجلة الأثـــر المجلد: 18 /العدد: 01 /العدد التسلسلي: 35 /جوان2021، ص: 245.

[4] Zucchelli Alberto, Introduction a l'urbanisme opérationnel et la composition urbaine tome 2, Ecole polytechnichnique d'architecture et d'urbanisme d'Alger, Edition : office des publications universitaires, alger , 1983, p :50.

حيث يمكن تناول مفهوم العمران من منظورين أحدهما يرى العمران " نتيجة " والآخر يراه" وسيلة" ،فالاتجاه الأول يجعل من العمران نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية بهدف توفير حاجاته المادية والروحية، وبذلك نرى أن طرفي التفاعل هما الإنسان والبيئة، ومحددات هذا التفاعل هي محددات تلك البيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية وغيرها،أما ناتج التفاعل فهو العمران الذي يأتي موفي ألحاجات الإنسان.

أما الاتجاه الثاني في تناول العمران باعتباره أداة المجتمع ووسيلة لصياغة وتجديد معارفه ومفاهيمه الأساسية وشحذ طاقات أفراده الإبداعية، وهذا المفهوم يعترف بالقوة الكامنة في العمران وقدراتها في التأثير على المجتمع، والاتجاهين السابقين في تناول العمران يعبران عن العلاقة التبادلية بين الإنسان والعمران، فالاتجاه الأول يعتبر الإنسان هو الذي يصنع العمران ليحقق احتياجاته، والاتجاه الثاني يوضح قدرة وسلطة العمران في التأثير على المجتمع.[5]

3- المشاكل الكبرى التي يعالجها العمران:

إن الهدف الرئيسي لعلم العمران هو معالجة المشاكل التي تعاني منها المدن مهما اختلف الزمان والمكان الذي وجدت فيه المدينة وبالتالي فأهداف العمران تطورت مع تطور المدن واختلفت مع اختلاف الظروف والمعطيات، منها:

- أول ظهور لعلم العمران كان بهدف معالجة سلبيات الثورة الصناعية خاصة منها مشكل المرور، السكن والتلوث.
- ونتيجة تغير الظروف والمعطيات وبمجرد انتهاء الحروب العالمية الأولى والثانية تغيرت أهداف علم العمران من معالجة بعض المشاكل التي كانت تعاني منها المدن، إلى إعادة إعمار المدن المهدمة كليا مع الأخذ بعين الاعتبار المشاكل التي كانت تعاني منها هذه المدن سابقا.
- ما إن أفاق العالم من ذهوله بسبب تأثيرات الثورة الصناعية والحرب العالمية حتى بدا علم العمران يعيد النظر في الأهداف التي كان يعمل على تحقيقها في الفترة الحديثة، وبدل التركيز على البعد الكمي فقط، تفطن العمرانيون إلى ضرورة دمج الأبعاد النوعية في تخطيط وتسيير المدن خاصة البعد البيئي والاجتماعي والاقتصادي.

4- العمران أسلوب تهيئة افتراضي للمجال السكني ومجال للصراع والسلطة:

يؤكد التاريخ البشري أن الإنسان قد بحث عن مأوى في الطبيعة ليحميه من الظروف الطبيعية، هذا المأوى الذي كان أحد عناصر الطبيعة الموجودة أصلاً و ليس للإنسان أي فضل فيها مثل الكهوف، ثم بدأ الإنسان يتطور ويصنع هذا المأوى من الصخور وجذوع الأشجار والجلود، وبفعل ما إستجد من حياة الإنسان من تطور روحي ومادي

[5] البدالي المترجي، نفس المرجع، ص: 246.

،تزايدت احتياجات الإنسان عن مجرد الإيواء، فبدأ يبحث لهذه الاحتياجات عن حيز فراغي منظم يحتويها، وكان ذلك بداية تبلور فكرة العمران.

حيث أن تاريخ العمران مرتبط بتاريخ المدن، فالمدن الأولى ظهرت في مواطن الحضارات النهرية القديمة (مصر، العراق، الهند، الصين...) حيث أكدت الآثار على وجود علامات العمران العفوي في هذه المدن، ثم تزايدت أهمية التخطيط خلال العهد اليوناني والروماني، أما في العصور الوسطى فقد كانت أوروبا تمر بعصر مظلم، حيث خربت فيها الكثير من المدن، وانعكس ذلك على العمران فاختفت الأشكال البسيطة للمنازل وأصبحت متصلة بصورة فوضوية، وبالمقابل ازدهرت حياة المدن في بلاد المسلمين بفضل ما جددوه وأحيوه من مدن الرومان واليونان السابقة، واستمر هذا التقدم والازدهار إلى غاية سقوط الدولة العثمانية، أما بالنسبة للمدينة الأوروبية الإقطاعية فخلال عصر النهضة تمت العودة إلى الكلاسيكية اليونانية والرومانية ما أعطى بعثا جديدا للعمران على النموذج الكلاسيكي، حيث طبق على الفضاء قواعد متفق عليها (مثل التناظر) جعلت المدينة شيء فني.

ثم عرف العمران دفعا قويا وفجائيا بسبب التحولات التي أحدثتها الثورة الصناعية، وبالتالي عرفت المدينة انفجارا عمرانيا واختلالا بيئيا واجتماعيا في أوروبا ثم في خارجها، حيث أصبحت المدن تعاني من عدة مشاكل كالتلوث ومشكل المرور وانعدام المساحات الخضراء ضعف الروابط الاجتماعية بين السكان.

ما أدى إلى ظهور جذور النظريات الحديثة في التخطيط العمراني، حيث بدأ المهندسون (سيطر المهندس على إنتاج المجال العمراني) بالبحث عن الوسائل التي تساعد المدن على حل مشاكلها العمرانية التي نتجت عن الثورة الصناعية، وعندما لم تستطع هذه النظريات أن تحل مشاكل المدن القائمة، سعى أصحابها إلى تطبيقها على مواقع جديدة لبناء مدن جديدة مثل المدن الخطية والمدن الحدائقية.

و تعتبر الإنجازات التي قام بها الفرنسيون من أهم الإنجازات العمرانية التي عرفتها هذه الفترة، حيث أرادوا التعامل مع متطلبات عصر الصناعة كواقع فجاءGeorge Haussmannليحقق رغبات نابليونIII لتطوير باريس (ولد 1853- توفي 1869) فأدخل تغييرات جذرية عل مدينة باريس تهدف إلى تحقيق النظافة، الأمن، الإضاءة، حركة المرور وظهرت باريس كعمل معماري كبير تحددت فيه الشوارع الكبيرة بالأشجار وأنشئت المرافق العامة، حيث قام بشق طرق رئيسية انطلاقا من نقطة مركزية تتمثل في قوس النصر (l'arc de triomphe) معتمدا في ذلك على خطة الانطلاق من الصفر (la table rase) ولذلك تعتبر أعمال George Haussmann تدشينا للعمران الحديث.[6]

[6] Jean-Paul Lacaze, Introduction à la planification urbaine, Presse de l’école nationale des ponts et chaussées, Paris, 1995, p : 143-146 .

الصورة رقم 03: قوس النصر بمدينة باريس

المصدر: https://www.parismuseumpass.fr/musees/arc-de-triomphe

هذا بالنسبة إلى المدينة الأوروبية، أما المدينة العربية الإسلامية فقد انتقل إليها النموذج الأوروبي للتعمير عنوة، نتيجة الحركات الاستعمارية التي كانت الثورة الصناعية السبب الرئيسي فيها.

وبحلول القرن العشرين انفصل علم العمران عن الهندسة المعمارية وظهرت إيديولوجيتان: الأولى تحاول معالجة سلبيات الثورة الصناعية تتمثل في التيار الإنساني أو الثقافي (le courant humaniste ou culturaliste)، ويتزعمه كل من «ستوبن Stubben» من ألمانيا، «سيت camilo site » من النمسا، و«ابنزير هاورد Ebenezer Howard» من بريطانيا صاحب فكرة المدن الحدائقية (la cité jardin) .

لكن هذه الإيديولوجية لم تدم طويلا واستبدلت بإيديولوجية ثانية تمثلت في الحركة التقدمية(le courant progressiste)،التي ركزت على إعادة تعمير المدن المهدمة من الحروب العالمية الأولى والثانية، بزعامة Le Corbusier الذي اعدميثاق أثينا سنة 1933 (la charte d'Athènes)، هذا الميثاق الذي عرف بعد الحرب العالمية الثانية(بدأت 1939- انتهت1945) تطبيقا مكثفا لمبادئه معلنا بذلك بداية مرحلة العمران الوظيفي (الحديث).[7]

هذا التيار العمراني الذي يرتكز على الكمية على حساب النوعية، معتمدا في ذلك على التقنيات الصناعية الجديدة في إنشاء وإنتاج المدينة، وهذا ما أدى إلى بناء منازل مثلما تنتج السيارات في المصانع.

انطلاقا من هذه السلبيات أصبح هناك وعي بأن في المدن الجديدة لابد أن يتجاوز التعمير البعد المادي المحض ليشمل اهتمامات اجتماعية، اقتصادية وسياسية لا يمكن تركها لإرادة المعماري أو المهندس المدني.

7 Jean-Paul Lacaze, op-cit, p :160.

بالإضافة إلى أن السبب الرئيسي الكامن وراء ضرورة تغيير نظم التخطيط الحضري التقليدية (العمران الوظيفي) هو ظهورها في ظروف استثنائية غير عادية، وبالتالي أصبحت غير عملية بمجرد انتهاء هذه الظروف، فلقد نشأت نظم التخطيط الحضري الحديثة (التخطيط المركزي أو الخطي) في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وذلك في إطار الاستجابة للمدن التي تشهد وتيرة متسارعة من النمو والتلوث في أوروبا الغربية نتيجة للثورة الصناعية، وفي إطار إعادة إعمار المدن المهدمة من الحروب العالمية، وبالرغم من تأثرها الشديد بالقيم السائدة في المدن الأوروبية، إلا أن مبادئ العمران الوظيفي انتشرت في معظم أنحاء العالم خلال القرن العشرين،ولا تزال تشكل النمط السائد والأكثر شيوعا في المجال العمراني خاصة في البلدان النامية.

حيث تتسم المناطق الحضرية حاليا بالتعقيد وسرعة التغير، وهي تتشكل من خلال مجموعة من القوى المحلية والعالمية التي عادة ما تتجاوز نطاق سيطرة الخطط والمخططين المحليين، ما يخلق فجوة عميقة بين الواقع الحضري وأساليب التخطيط القديمة التي أخفقت إخفاقا تاما في استيعاب أسلوب الحياة العصرية.

هكذا ظهرت تيارات جديدة تتميز بعدوانيتها للعمران الوظيفي، وبالبساطة والعقلانية في المجال العمراني وتدعوا إلى العودة إلى التركيب العمراني التقليدي مع إدماج مكتسبات التيار الحديث (الأصالة والمعاصرة)، وقد أسهم الباحثون الأوربيون والأمريكيون مساهمة متميزة في هذه الفترة، وانقسموا في توجهاتهم إلى قسمين التيار الطبيعي (le courant naturaliste) بزعامة مدرسة شيكاغو الأمريكية ، والذي هدف إلى الجمع بين المدينة والطبيعة وتطور إلى العمران المستدام ،وعمران المشاريع (l’urbanisme de projet) هذا التيار الذي يعتبر آخر ما توصل إليه الباحثون في مجال العمران .

خلاصة:

ومنه فإن علم العمران هو العلم الذي يهتم بتنظيم المدن، ظهر في بداية القرن العشرين كرد فعل عن سلبيات الثورة الصناعية والحروب العالمية، حيث اعتمد في بداياته على مبدأ توفير الكم على حساب النوع، نظرا للأولويات المطروحة في تلك الفترة، ومع تحسن الأوضاع وتغير المعطيات، أصبح هذا المبدأ غير فعال، بل أصبحت ترافقه العديد من السلبيات، التي جعلت المدينة تعاني من جملة من الإختلالات التي تمس كل الأبعاد.

وهذا جعل أهدافه تتغير نحو السعي إلى خلق مجال حضري ذو نوعية، وذلك من خلال مراعاة الابعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية أثناء توفير الكم، وبالتالي خلق مدن تتناسب وخصائص واحتياجات وطموحات السكان والمستعملين.

الفصل الثاني: تاريخ المدن

مقدمة:

قديما كان الإنسان يعيش منعزلا فاتسمت اهتماماته بالبساطة (يسعى فقط للحصول على غذائه) وتدريجيا ومع تشكل الأسر سعى إلى تنظيم حياته، فاتجه للانضمام إلى مستوطنات قروية صغيرة' فتنوعت وزادت اهتماماته وحدث الاحتكاك والتجمع في مكان واحد يتوفر على الغذاء وسهولة ظروف العيش، وهنا بدأت بوادر تشكل المدن في الظهور، حيث تطورت هذه التجمعات إلى أن جمعت وظائف متعددة بطريقة عفوية وظهر ما يسمى اليوم بالمدن، وبتزايد أهميتها وتعقيدها فرضت على الإنسان تطوير مجاله وتنظيمه وفق لمبادئ معينة.

حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى أهم العوامل (الأسباب) التي أدت إلى ظهور المدن، ثم إلى مختلف التعريفات التي قدمت للمدينة باعتبارها حقلا جاذبا للعديد من التخصصات، وذلك قبل التطرق الى تاريخ المدن الذي امتد من العصور القديمة إلى غاية اليوم.

1- **عوامل ظهور المدن**:

- **التفسير الاقتصادي:** لاحظ المؤرخون أن بداية نشأة المدن بدأت عند تحول الإنسان من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة وذلك لأن الزراعة تتطلب الاستقرار، ثم الاكتشافات التي ظهرت مثل المحراث الخشبي الذي زاد من الإنتاج الزراعي وتنوّعه، وبالتالي الحصول على الفائض في الغذاء وهذا ما سمح بانصراف بعض السكان عن إنتاج الطعام، واتجهوا نحو أنشطة اقتصادية أخرى كالتجارة وغير اقتصادية كالحساب والتفكير الرياضي واختراع الكتابة.

- **التفسير العسكري:** بعد التطور الاقتصادي الذي شهدته التجمعات السكانية ظهر نوع من التنافس والطمع والتعدي، وبالتالي اضطر الناس إلى التجمع في مناطق محصنة، لأنها تحميهم من العدو، مثل الحصون والقلاع والأبراج هو سبب رئيسي في ظهور المدن.

- **التفسير السياسي:** لوحظ بأن التطور الذي حدث من الناحية الاقتصادية تطلب وجود سلطة مركزية لتنظيم العلاقات بين الناس مثل تنظيم الري، وإن الفائض في الإنتاج خلق التجارة وخلق منازعات فظهر على إثرها القاضي الذي يفصل بين نزاعات السكان، ثم الجيش ثم الأمير ومنه ظهور سلطة مركزية (مثل حمورابي في الحضارة الآشورية)، ومن أنصار هذا الرأي العالم الاجتماعي سجو بيرج الذي درس بدقة المدينة قبل حركة التصنيع وتوصل إلى أن المدينة ليس بمقدورها البقاء دون تأييد من قبل الدولة.[8]

[8] Maouia Saidouni, élément d'introduction à l'urbanisme, casbah édition, 2000, Alger,p : 10-14.

- **التفسير حسب خطوط المواصلات:**إن بعض التجمعات السكنية تحولت إلى مدن بفعل موقعها من وسائل النقل كأن تكون واقعة على نهر أو بحر أو طريق مرور القوافل البرية، والدليل على ذلك أن المدن الأولى في الحضارات القديمة على ضفاف الأنهار مثل النيل والدجلة والفرات.[9]

- **التفسير الديني:** توصل الباحث الاجتماعي FOSTAL DE COULANGESبعد دراسته للمدن القديمة إلى أن العامل الديني يعد رابطا أساسيا بين السكان في أي مدينة،واستدل على ذلك بقوله إن كلمةURBSالتي تعني مكان تجمع السكان تشير إلى مكان مقدس قبل كل شيء، حيث أن كل الشعوب تبني أي صرح أو بناء من منطلق الإيمان، فتجد الكثير من البنايات الشامخة أما عبارة عن معابد أو قبور.[10]

2- تعريف المدينة:

إن المدينة هي مجال جاذب للكثير من التخصصات، وهذا ما أدى إلى ظهور تعريفات عديدة للمدينة، حيث اختلفت دراسات العلماء والباحثين في تحديد المعايير المعتمدة في التمييز بين الريف والمدينة:

- **التعريف الديمغرافي أو الإحصائي للمدينة :** الذي يعتمد تارة على الحجم (العدد الإجمالي للسكان) وتارة أخرى على الكثافة، حيث صنف الباحثون الذين ركزوا على الحجم المدن إلى أربع أنواع: المدن الصغيرة التي يتراوح فيها عدد السكان بين 2000 و50000 نسمة، المتوسطة بين 50000 و200000 نسمة والكبيرة بين 200000 و مليون و الكبيرة جدا أكثر من مليون نسمة ، أما من حيث الكثافة فهي تختلف من بلد إلى آخر فمثلا في الولايات المتحدة الأمريكية الحد الأدنى لعدد سكان المدينة هو5000 ن على ألا تقل الكثافة على 1000 ن في الميل^2.

- **التعريف الاقتصادي**: المدينة هي مكان مستقر ينشغل فيه السكان بأنماط إنتاجية غير الزراعي (صناعة، تجارة وخدمات) فهي مكان لتجمع الوظائف الحضرية التي تتطور وتتعدد عبر الزمن.

- **تعريف المدينة كنظام بيئي:** هي عبارة عن نظام بيئي تم صنعه من طرف مجموعة من الأشخاص من اجل الاغتناء بالتبادل، فكل شخص يقوم بإنتاج شيء ما ضروري لحياة شخص آخر، وهو بدوره يحتاج إلى ما ينتجه الآخرون لضمان بقائه ولتحقيق رفاهيته،حيث نجد كل العناصر في هذا النظام مرتبطة ببعضها البعض وغير مستقلة،وإذا تم سحب عنصر فانه سوف ينهار ويفقد معناه.

- **التعريف السياسي والإداري**: يعتبر المدينة مكان للسلطة ومركز إداري، لان القرارات الإدارية يمكن أن ترقي التجمعات الريفية إلى مدن بمدها صلاحيات إدارية(مثل مدينة أم البواقي).

- **التعريف العسكري**: المدن عبارة عن قلاع اتخذت أماكن للسكن في الحالات الاضطرارية.

[9] حليم حسين عارف وآخرون، تخطيط وتنظيم المدن بين النظرية والتطبيق، الجزء الأول، جهاز للنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، ص:21.
[10] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص:15.

- **التعريف الاجتماعي**: المدينةهي ظاهرة إجتماعية، فهي ليست مجرد بنايات يسكنها تجمعات من الناس، بل هي مجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك التجمعات، هذه العادات والتقاليد التي تجعل من المدينة مجتمعا محليا ومنطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز.

وقد تبلورت مسألة المعايير بشكل أوضح عند كل من الألمانيين أشلي وماكس فيبر، وقد وضعا حدا للخلافات السابقة بوضع عدد واضح من الخصائص والسمات، التي تجمع بين نظريات وتفسيرات مختلفة، أصبحت مألوفة وتتركز على:

- توفر الكثافة في حجم السكان وتطور المؤسسات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية
- التقدم التكنولوجي ومدى إمكانية السيطرة على الظروف الطبيعية.
- توفر الأمن والاستقرار وهيمنة السلطة السياسية على النشاطات التجارية.
- وجود محكمة وقضاء وقانون مستقل يسهر على رعاية المصلحة العامة.
- أن يتوفر سوق أو أسواق.
- وجود نقابة أو شكل من التعاون النقابي.
- أن يتمتع ذلك المكان بحكم ذاتي مركزي يستند على الانتخاب.[11]

3- تاريخ المدن:

تعتبر المدينة ظاهرة قديمة جدا، لذا من الصعب جدا من الناحية التاريخية تحديد سنة ظهور المدينة، وعموما فإن الألف السادس والألف الخامس قبل الميلاد كان التاريخ الذي اتفق عليه العلماء في تحديد تاريخ نشأة المدن وظهورها، حيث أن دراسة التطور التاريخي للمدن له ثلاثة أهداف:

- التعرف على العوامل المتحكمة في النسيج الحضري
- دراسة طرق وكيفيات التخطيط والتسيير المعمول بها منذ القديم
- تحليل المشاكل التي عانت منها المدن القديمة لمعرفة أسباب المشاكل التي تعاني منها المدن الحالية، وبالتالي تحديد كيفيات التدخل للحد منها.

1-3 المدن القديمة (من الألف 5 قبل الميلاد إلى سنة 476 م):

من أقدم ما أكتشفه علماء الآثار من هذه المدن أريحا، فإذا كان السور هو الفارق بين المدينة والقرية بالنسبة لهم، فان أريحا كانت مدينة منذ حوالي 10 ألاف سنة قبل الميلاد أيفي بداية العصر الحجري الحديث.

1-1-3 المدن في الحضارة المصرية القديمة أو المدينة الفرعونية:(من الألف 5 قبل الميلاد إلى سنة 31 ق م) مدينة الأهرامات:

[11] مصطفى فواز، مبادئ تنظيم المدينة، معهد الإنماء العربي،بيروت، 1980، ص:12-20.

أهم العوامل التي أثرت على تخطيط وعمارة المدن المصرية القديمة:

- وجود نهر النيل والقنوات المتفرعة منه، حيث يستفاد منه لأغراض النقل ويستخدم كمانع عسكري،ويمثل شريانا لحركة التجار ويساهم في خصوبة الأراضي المجاورة له (ما جعلها مدن زراعية)، لذلك ظهر تأثيره واضحا في اختيار مواقع المدن، وتحديد شكلها، وانسيابية نسيجها الحضري.
- عامل المناخ الذي يتصف بارتفاع درجات الحرارة وسطوع الشمس وقلة الأمطار، فأثر ذلك كله على النسيج العمراني الذي امتاز بشوارعه الضيقة، وكذلك على مخطط الوحدة السكنية حيث كان البيت مغلقا من الخارج منفتحا إلى الداخل يتوسطه الفناء مع جدران سميكة لتقليل التسرب الحراري).
- الاستقرار السياسي الذي ساعد الملوك على الاهتمام بالعمران والعلوم الأخرى، كما أثر القرار السياسي في تصنيف المدن إلى أربعة أنواع:

- المدن العواصم تقام بأمر من الملوك وتضم الأسر الحاكمة
- المدن الدفاعية التي أقيمت لأغراض دفاعية بالقرب من الحدود
- المدن الصغيرة التي تنشا تلقائيا على طول المساحات المزروعة
- مدن العمال التي تقام لإيواء العمال بالقرب من المشاريع العمرانية الكبرى مثل مدينة تل العمارنة التي كانت تأوي العمال الذين شيدوا الأهرامات. [12]

المخطط رقم 01: مخطط مدينة تل العمارنة

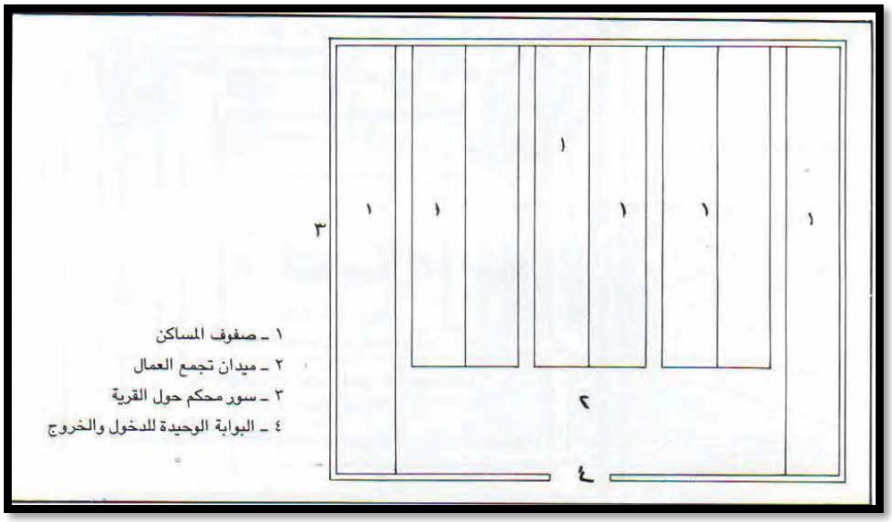

المصدر: عاطف حمزة حسن، تخطيط المدن أسلوب ومراحل، دار الكتاب القطرية،1992، ص: 8.

[12] عاطف حمزة حسن، تخطيط المدن أسلوب ومراحل، دار الكتاب القطرية،1992، ص: 8.

- تأثير العامل الديني بشكل واضح على العمران الذي تميز بتشييد مدن الأهرامات (المقابر)، حيث ارتبط العمران بعقيدة الحياة بعد الموت وهو سبب إنشاء المعابد الفخمة والمسلات والأهرامات بالأحجار والجرانيت التي تمثل منازل أزلية للأموات، وفي نفس الوقت لم يهتم المصريون بحياة الإنسان على الأرض لأنها مؤقتة في نظرهم وجاءت المنازل جد بسيطة ومبنية بالطمي.[13]

الصورة رقم 04و05و06: الأهرامات الفرعونية و المسلات الفرعونية و المعابد الفرعونية

المصدر: https://ar.wikipedia.org/wiki

العناصر التخطيطية المشتركة للمدن المصرية القديمة: في اللغة الهيروغليفية (لغة الفراعنة) رمز المدينة هو دائرة يتقاطع داخلها خطان بشكل عمودي وهو يمثل بذلك سورا دائريا يضم طريقين متعامدين أي أن المدينة المصرية القديمة كانت دائرية الشكل يحيط بها سور ومخططها شطرنجي، حيث تتلخص أهم المكونات في:

- تنقسم المدن المصرية إلى مدينتين مدينة الحياة شرق النيل ومدينة الخلود (الموت) المتكونة من الأهرامات غرب النيل.
- تقسم مدينة الحياة إلى جزئين منفصلين بينهما حائط سميك أحدهما للطبقة الثرية والآخر للفقراء يفتقد إلى الحدائق والساحات وتتكدس فيه البنايات التي هي عبارة عن مجرد أكواخ من الطين اللين.
- وجهت الشوارع الرئيسية من الشمال إلى الجنوب، وتميزت بشارع المواكب (الشارع الملكي) الذي يتميز بعرضه الكبير رغم الحر الشديد، وذلك لتسهيل مرور المواكب الدينية، حيث يعتبر هذا الشارع الذي يحيط به الأشجار المولد لمخطط المدينة الشطرنجي وتتعامد عليه الطرق الثانوية متجهة شرقا وغربا.
- ينتهي الشارع الملكي بالمعبد (مقر الإله الفرعون) وهو مركز الحياة والعمران يكون في مبنى شامخ جدرانه جد كبيرة بجواره قصر الفرعون ودار الحكومة ومن حوله تنمو المدينة وتمتد.

[13] حسام جبار عباس، العمارة المصرية، محاضرة تاريخ العمارة، جامعة بابل، العراق، 2013، ص:4-6.

- احتلت الحدائق دورا هاما في القصور خاصة وقد سمح المخطط الشطرنجي بتوفير المساحات المنتظمة الضرورية لذلك.
- كان الصور من المعالم الرئيسية للمدن المصرية القديمة، وكان يحيط بالسور خندق لحماية المدينة من فيضانات نهر النيل. [14]

من أهم المدن المصرية في هذه الفترة مدينة ابيدوس، تل العمارنة، أسيوط ومدينة سمهود.

3-1-2 المدن في حضارة بلاد الرافدين أو ما بين النهرين أو العراق القديم(الألف 3 قبل الميلاد إلى سنة 562 ق م) مدينة الحدائق المعلقة:

لقد تأثرت المدن المصرية القديمة والمدن في بلاد الرافدين بنفس العوامل الطبيعية،إلا انه لم يكن للأفكار الدينية تأثيراً كبيراً على مخططات مدن ما بين النهرين كما كان عليه الحال في مدن وادي النيل أين كان عامل التأثر بالدين هو العامل الذي على أساسه تتم التفرقة بين الريف والمدينة، فإذا كانت المدينة المصرية القديمة مقسمة حسب الوظيفة الدينية فان المدينة العراقية مقسمة حسب الوظيفة الاقتصادية إلى:

- المدينة الداخلية الوسطى التي يعيش فيها السكان وبالتالي تقتصر على وظيفة السكن.
- المدينة الخارجية أو الضاحية التي كانت تتكون من الحقول وحدائق النخيل وحظائر الماشية، وحولها الأسوار أي أنها كانت ذات وظيفة فلاحية.
- الثغر وهو مركز للنشاط التجاري البري، ويحظى باستقلال إداري ومركز قانوني خاص، وبالتالي فهو ذو وظيفة تجارية.

العناصر التخطيطية المشتركة لمدن العراق القديم: كانت المدينة الداخلية الوسطى تتكون من:

- معبد الآلهة الذي يتوسطها والذي يسمى بالزقورة وهي عبارة عن برج مربع الشكل ومدرج يتكون من ثمانية طوابق في قمتها المعبد، حيث يصل إجمالي الارتفاع إلى 90 متر، بجواره يوجد مقر الحاكم.

[14] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:23-36.

الصورة رقم 07: الزقورة في بلاد الرافدين

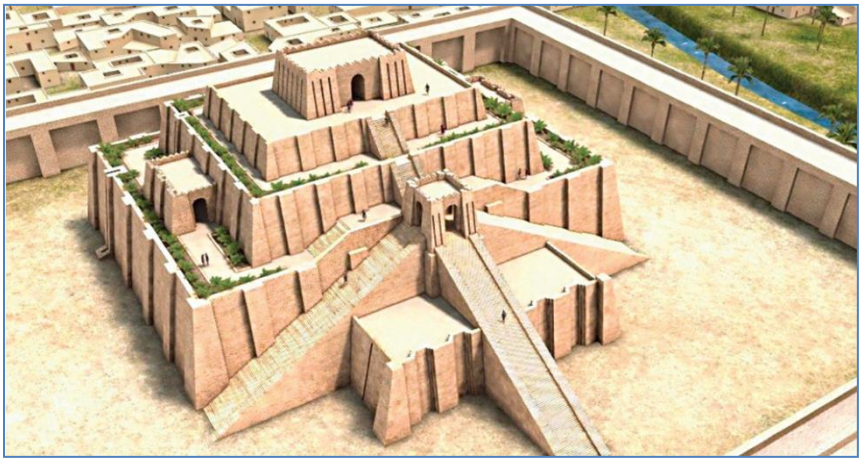

المصدر: https://www.aletihad.ae/news

- وجود شارع المواكب تتعامد عليه جملة من الشوارع الثانوية، ويرتفع منسوبه عن المساكن.
- أما بقية الشوارع فكانت ضيقة وذات نهايات مقفلة، تتسع عند بوابات المدينة، حيث تم اخذ بعين الاعتبار النواحي المناخية كتأثير الرياح الساخنة لذلك يتم تغيير اتجاه الشوارع بشكل مفاجئ للتخفيف من الآثار الضارة لهذه الرياح.
- نجد المساكن الخاصة بالطبقة المالكة حول الزاقورة ثم مساكن عامة الشعب.[15]
- تنعدم الساحات والفراغات في مدن بلاد ما بين النهرين وذلك لضيق المساحة المخصصة للمدينة الداخلية.
- تميزت بتحصيناتها القوية حتى تتمكن من الصمود أمام جيوش الأعداء، حيث تميزت بوجود العديد من الأسوار التي تحيط بالمدينة الداخلية، ومراكز دفاعية حول هذه الأسوار.
- وكانت المدينة مقسمة إلى عدد من الأحياء ولكل حي بوابة خاصة في السور الذي يحيط بالمدينة.
- تميزت المدن العراقية القديمة بوجود الشوارع المعبدة (المرصوفة بالحجارة)، شبكات لتوزيع المياه العذبة، بالإضافة إلى شبكات لتصريف المياه المستعملة وتكون بذلك قد سبقت بتجهيزاتها التقنية المدن الرومانية(التي عرفت بريادتها في هذا النوع من التجهيزات).
- تميزت مدن العراق القديم بحدائقها المعلقة الواقعة على ضفاف نهر الفرات، هذه الحدائق التي بنيت على مصاطب مرتفعة تغطيها الأشجار والنباتات ترفع إليها المياه بواسطة المضخات، وهي دليل على مدى الاهتمام بالجانب البيئي رغم المناخ الصحراوي.[16]

[15] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:37.
[16] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:24.

من أهم المدن العراقية القديمة مدينة أور، بابل، نينوا، لجش، والوركاء.

الصورة رقم 08: حدائق بابل المعلقة

المصدر:https://ar.wikipedia.org/wiki _Gardens_of_Babylon.jpg

3-1-3 المدن في الحضارة اليونانية القديمة أو الإغريقية(من سنة 2600 ق م الى 338 ق م) مدينة الفلاسفة:

نمت الإمبراطورية اليونانية وعاصمتها أثينا حول بحر ايجه (فرع من البحر الأبيض المتوسط في شرق أوروبا بين اليونان وتركيا)، حيث تميزت المدن اليونانية بارتفاع عدد السكان حيث وصل عدد سكان مدينة اثنا في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد الى 000 150 نسمة.

اهم العوامل التي أثرت على المدينة الإغريقية:

- سيطرة الفلاسفة على الحياة الاجتماعية حيث عرف اليونانيون العديد من الفلاسفة الذين اثروا على العمران مثل أفلاطون (427-348 ق م) الذي كان يحلم بإنجاز المدينة الفاضلة وهي مدينة مثالية من كل الجوانب يحكمها الفلاسفة، ثم جاء تلميذه أرسطو (384-323 ق م) الذي رأى بان حجم المدينة يجب أن يكون محدود بحيث يمكن أن نرى كل المدينة بنظرة واحدة، و نتيجة هذا الرأي الفلسفي ظهرت بوادر التخطيط الإقليمي حيث كانت المدن اليونانية محدودة الحجم و إذا زاد عدد سكانها تطلب ذلك إنشاء مدن ثانوية تابعة للمدينة الأم ، فمثلا مدينة SYRACUSE في أوج ازدهارها أصبحت تتكون من خمسة مدن وأطلق عليها اسم المدينة الخماسية (Pentapolis) .[17]

- عمل اليونانيون على التأقلم مع الطبيعة وذلك من خلال:

- محاولة دمج العناصر البنائية فيها مع الطبيعة

[17] J. Pelletier et CH. Delfante, ville et urbanisme dans le monde, service de presse masson, paris, 1989, p : 136-137.

- استعمال مواد البناء التي تميزت بها المدينة اليونانية مثل الرخام المتوفر في الجزر.
- تأثير مناخ البحر المتوسط المعتدل على التركيبة العمرانية حيث كانت ممارسة النشاطات المختلفة في الهواء الطلق (مثل المسارح المكشوفة وحلبات سباق العدو).
- مراعاة المناظر الطبيعية المحيطة بالمدن أثناء القيام بعمليات التخطيط
- اختيار المواقع المحصنة طبيعيا عند إنجاز المدن (المناطق المرتفعة)

- تطور البعد الفني في المجتمع أثر على العمران الذي لم يهمل الجانب الجمالي، حيث كان الاهتمام بأدق التفاصيل وبدا الاهتمام بالمظهر الخارجي للبنايات.

- العامل السياسي: فبلاد اليونان هي مهد الديمقراطية والتي تعني باليونانية حكم الشعب لنفسه، وهذا ما جعل المدينة تضم العديد من المرافق التي تعمل على تجميع الناس وممارسة ذلك الشكل من الحكم الديمقراطي، حيث كانت المدن اليونانية تسمى بالمدن الدولة لان كل مدينة هي دولة مستقلة بحد ذاتهاومن أشهر هذه المدن الإسبرطة وطروادة، والحرب المشهورة التي كانت بين الدولتين ودور السور فيها.[18]

اهم العناصر التخطيطية المشتركة للمدن اليونانية القديمة:كانت تتكون من عنصرين أساسيين:

- **الأكروبول:** وهي كلمة يونانية تعني الحصن، ويعتبر النواة الأصلية للمدينة وهو عبارة عن قلعة محصنة يحيط بها صور فيه باب ضخم، تقع في أعلى هضبة تمكن من رؤية كل المدينة، يمثل مركز المدينة السياسي والروحي والاقتصادي، يضم المباني الرئيسية كالمعابد والمنشئات الحكومية، وخزانة الدولة.

ويعد أكروبول مدينة اثنا من أشهرها، ولهاذ يطلق عليه تسمية الأكروبول دون تحديد مكانه.

الصورة رقم 09: الاكروبول في المدينة اليونانية

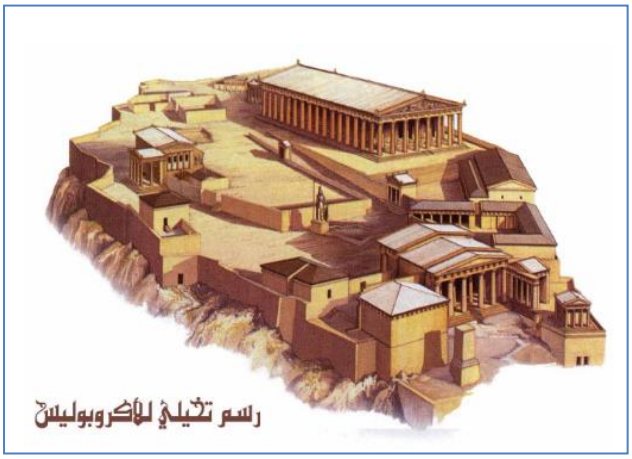

المصدر: https://arab-ency.com.sy/ency/details/2256/3

[18] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:42-47.

- **الأغورا**: تعني الجمعية أو مكان الاجتماع، تقع في المدينة السفلى وهي عبارة عن مكان للتبادلات الاجتماعية (مكان لالتقاء الفلاسفة) والتجارية (سوق) تنطلق منها الشوارع العامة التي تؤدي الى السكنات والتجهيزات.[19]

- في بدايات المدن اليونانية لم تكن الشوارع منظمة بل كانت ضيقة ومتعرجة كوسيلة للدفاع، وفي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر الفيلسوف هيبوداموس HIPPODAMOS الذي وضع أول مخطط لمدينة رودس الجديدة، وهذا ما جعل المخطط الشطرنجي أو الشبكي ينسب إليه ويسمى بالمخطط الهيبودامي رغم انه عرف من قبل في الحضارة المصرية القديمة، هذا المخطط الذي يقوم على أساس تعامد الشوارع على بعضها، وبذلك أصبح التعامل مع الفضاء الحضري تعاملا هندسيا، يضمن سهولة الوصول إلى السكنات والى التجهيزات المتوفرة في ذلك الوقت.

- كما ظهرت بعض التجهيزات التي دلت على تطور وتحضر المجتمع اليوناني مثل المسارح وملاعب الجمباز والحمامات العامة وصالات الموسيقى المحيطة بالاغورا.

- أما من حيث السور فقد اثر الفكر الفلسفي أيضا على هذا العنصر العمراني، حيث يرى الفيلسوف بلاتون أن المدينة لا يجب أن يكون فيها سور ليكون سكانها شجعان، أما أرسطو فهو يرى بان وجود السور أمر ضروري ليس من الناحية الدفاعية فقط بل حتى من الناحية الجمالية، فهو يرى بان المدينة دون سور كالمرأة دون تاج.

- من أشهر المدن اليونانية القديمة مدينة الإسكندرية،الإسبرطة وطروادة واثنا العاصمة.

3-1-4 المدن في الحضارة الرومانية القديمة أو البيزنطية (من الألف 2 قبل الميلاد إلى سنة 476 م)

مدينة المحاربين:

يعتبر التخطيط في عصر الرومان امتدادا لنظريات التخطيط الإغريقية مع بعض التطوير والإضافة، فنتيجة للغزوات التي قام بها الرومان على مدى 2500 سنة، اتسعت رقعة الإمبراطورية الرومانية وضمت كل بلدان البحر المتوسط، تنوعت فيها الحياة الاقتصادية والثقافية، الاجتماعية والعسكرية،وتمايزت المدن الرومانية عن بعضها عمرانيا ومعماريا وتنظيميا فهناك مدن المعسكرات ذات المخطط الشطرنجي مثل مدينة تيمقاد، مدن تجارية تقع في عقد المواصلات مثل مدينة جميلة، مدن تمثل المراكز الإدارية للإمبراطورية مثل روما وقرطاجة.[20]

[19] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:24.

[20] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:56-57.

المخطط رقم 02: مخطط مدينة تيمقاد

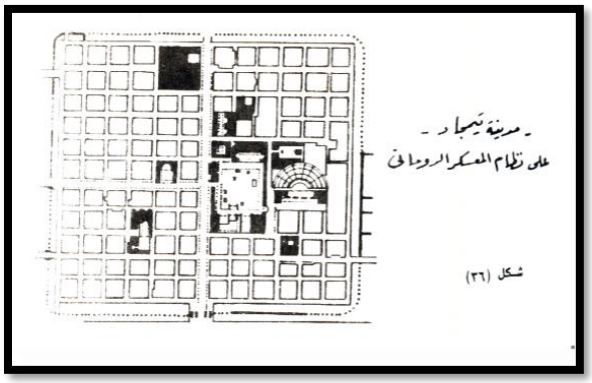

المصدر: حليم حسين عارف وآخرون، ص:68.

العوامل المؤثرة على المدن الرومانية: أثر على تخطيط المدينة البيزنطية ثلاث عوامل هي:

- **العامل العسكري:** يتضح تأثير الفكر العسكري على المدينة الرومانية من خلال:

- إذا كانت المدينة اليونانية تتميز بالتأقلم مع الطبيعة والاندماج معها فان المدينة الرومانية تميزت بتطويع الطبيعة لتتلاءم مع مخططها حيث تزال التضاريس المعقدة في سبيل إنجاز المخطط الشبكي، لان العمران بالنسبة لهم مجرد معادلة ميكانيكية هندسية يمكن تطبيقها في كل مكان.

- الأباطرة المسؤولون عن إنجاز مخططات المدن، حيث انصب مجال اهتمامهم على إنجاح التنظيم العمراني وإبراز الناحية الجمالية، كما تميزت المدينة الرومانية بإنجاز شبكات تصريف وتوزيع المياه.

- نتيجة لاهتمام الرومان بالغزوات تميزت المدينة الرومانية بالطبقية الاجتماعية لان التركيز لم ينصب على الاهتمام بنوعية الحياة، وبما أن الطبقية الاجتماعية تترجم في المجال الحضري من خلال السكن فان الأباطرة كانوا يعيشون في القصور، ثم طبقة محدودة من التجار الأغنياء يعيشون في منازل كبيرة ذات حدائق واسعة ثم عامة الشعب التي تعيش في منازل غير صحية.

- كان اختيار مواقع المدن يتوقف على أهمية هذا الموقع من الناحية الإستراتيجية فكانت غالبا ما تتم إزالة التضاريس المعقدة في سبيل أن يتلاءم الموقع مع المخطط.

- تميزت المدينة الرومانية بتطور شبكة الطرق (رصف الطرق بالحجارة) فبعضها ما يزال قائما إلى غاية اليوم، وذلك راجع إلى أن بناء الطرق بشكل سيئ لا يساعد الأباطرة في السيطرة على إمبراطوريتهم لان الرسائل والأوامر لا تصل بسرعة.

- العامل المناخي: نتيجة لتعدد الظروف المناخية المؤثرة على المدن نتيجة اتساع الرقعة الجغرافية للإمبراطورية، تنوعا المدن الرومانية من حيث الخواص المعمارية والعمرانية لتناسب كل منطقة.

- العامل الاقتصادي: حيث انعكست وظيفة المدينة على مخططها العام.

أهم العناصر التخطيطية المشتركة للمدن الرومانية:

- تتخذ المدن الرومانية في الغالب الشكل المربع أو المستطيل.
- مخطط المدينة هو مخطط شطرنجي يخضع إلى مبدأ التدرج الهرمي للشوارع (شوارع رئيسية وثانوية وثالثية)، حيث تضم المدينة طريقان رئيسيان تحيط بهما الأعمدة لتمييزها عن بقية الطرق هما الكاردو(Cardo) الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب بعرض يتراوح بين 7 إلى 8 متر والديكامنيس (Decamanus) من الشرق إلى الغرب بعرض يتراوح بين 14 و15 متر، وهما يميزان المدينة الرومانية عن اليونانية ويجزئانها إلى أربعة أجزاء كل جزء له باب في سور المدينة.
- يتقاطع الشارعين الرئيسيين وتتقاطع الشوارع الفرعية معها فتتشكل جزيرات (les ilots) أبعاد الواحدة منها حوالي 250 م^2.
- في أحد الأركان الأربعة لتقاطع الطريقين الرئيسيين نجد الفوروم forum(المنتدى) وهو قلب المدينة الرومانية عبارة عن ساحة مسقفة مربعة الشكل تضم أهم التظاهرات الاجتماعية (الاحتفالات الشعبية) والسياسية (الانتخابات الحكومية) والعسكرية (المحاكمات العلنية والقتالات بين السجناء)، كما يمكن أن يكون قريبا من الميناء ولا يتوسط المدينة في حالة المدن البحرية.[21]
- يحيط بالفوروم المحلات التجارية واهم التجهيزات المتمثلة في البازليكا (Bazilica) مقر المعاملات التجارية، والسينات (Senate) وهومجلس الشيوخ والكنيسة والحمامات المسارح.
- كانت المنازل الرومانية واسعة تستوعب العديد من الأسر، كما استخدمت الخرسانة العادية لأول مرة في المدينة الرومانية واستخدم في ذلك بعض أنواع الحجارة الموجودة بالقرب من البراكين.

من أهم المدن الرومانية مدينة روما، بومباي، قسنطينة، تيمقاد.[22]

لكن انهيار الإمبراطورية الرومانية ترتب عنه:

- سيطرة الإقطاعيين الفلاحين على المدن الرومانية، وإهمال الجانب العمراني على حساب الفلاحي.
- قل عدد سكان المدن وبدأت الهجرة إلى الريف والاعتماد على الزراعة، وهذا ما جعلها تتضاءل من حيث الحجم والأهمية.
- قامت الحروب بين الرومان والجرمان وبين الحكام الرومان أنفسهم ما أدى إلى بناء الحصون والقلاع كمراكز دفاعية.

---

21 مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:26.

22 حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:58-62.

- ظهور المسيحية في القرون الخمسة الأخيرة من عمر الإمبراطورية الرومانية أدى إلى انتشار الكنائس التي لجأ إليها السكان أيضا كمراكز دفاعية إلى جانب القلعة والحصن.

2-3 مدينة العصور الوسطى (476 م الى القرن 15 م):

بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في أوروبا وشمال إفريقيا، ظهر نوعين من المدن المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوروبية الإقطاعية:

1-2-3 المدينة الأوروبية الإقطاعية(مدينة العصور المظلمة):

التي ظهرت في أوروبا الغربية،حيث أن انهيار الإمبراطورية الرومانية أدى إلى انهيار المدن وتضاءلت إمكانية وجود مدن كبرى حيث تراوحت أعداد سكان هذه المدن من 5الى 10آلاف نسمة ولم يتجاوز هذا الحد إلا عدد قليل من المدن،مثل مدينة لندن حيث كان تعداد سكانها حوالي 40000نسمة.

اهم العوامل التي أثرت على تخطيط المدينة الإقطاعية:

- **انعدام الاستقرار السياسي:** بسبب الحروب التي كانت قائمة بين الرومان وقبائل الجرمان، وبين الأباطرة الرومان نفسهم، فقد أثرت الغزوات المستمرة على المدينة من خلال:
  - اضطرت بعض المدن إلى تحصين نفسها بتخفيض مساحتها.
  - برز دور القلعة،الحصن، الأسوار، الخنادق، الدير، الكنيسة التي احتمى بها الناس كبيوت مقدسة.[23]
  - لم تكن المدينة خاضعة لفكر تخطيطي مسبق بل كان ذا طابع عفوي (أو عضوي).
  - إنشاء المدن في المواقع التي يسهل الدفاع عنها كالمواقع المرتفعة أو على الجزر وأشباه الجزر.
  - كانت المدينة في عزلة تامة عن العالم الخارجي.
- **ظهور النظام الإقطاعي** وسيطرته على الأراضي الزراعية، وسيادته داخل الأسوار الدفاعية، جعل المساحة العمرانية ضيقة ومحصورة داخل الأسوار،كما أن المحافظة على الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن أدى بالمحافظة على التوازن البيئي خارج المحيط العمراني.
- **الفقر:**نتيجة المداخيل المحدودة والمتساوية ظهر نوع من التجانس المعماري سواء في الشكل واللون ومواد البناء، وهذا ما حافظ على توحيد المظهر العام للمدينة وجعل من العمارة في هذه المدن اجتماعية أكثر منها فنية.

من أهم العناصر التخطيطية المشتركة للمدن الإقطاعية:

[23] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:32.

- كانت المدينة ذات شكل دائري قطرها لا يتجاوز الميل الواحد (وهي المسافة التي يمكن سيرها على الأقدام)، يحيط بها السور ومجموعة من القلاع والحصون من بينها قلعة الحاكم،وكان يحيط بهذا السور خندق أو قناة ما يجعل المدينة على شكل جزيرة، حيث كان الخندق من الإجراءات الدفاعية المتبعة في فترة العصور الوسطى والدليل على ذلك غزوة الخندق التي كانت سنة 627 م والتي أشار فيها الصحابي الفارسي سلمان الفارسي على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة المنورة كما كانوا يقومون في بلاد فارس أثناء الحروب.
- يتوسط المدينة السوق والكنيسة مع برجها (مثل برج مدينة بيزا بإيطاليا الذي بني سنة 1173 م)، وحوله تلتف الطرق الثانوية الضيقة (التي يصل عرضها أحيانا إلى 75 سم) بشكل حلقات ثم تترابط فيما بينها بطرق رئيسية تنطلق من المركز إلى مداخل المدينة، فأخذ المخطط الطابع الحلقي الشعاعي الذي حل تدريجيا محل المخطط الشطرنجي المميز للمدينة الرومانية واليونانية، واعتبرت الساحات والسوق المجاورة للكنيسة بمثابة مكان للتجمع.
- تكدس المباني على شكل صفوف متلاصقة على طول الطرق الضيقة، انعدام قنوات الصرف الصحي والطرق الغير معبدة، أدت إلى تكدس النفايات والفضلات وبالتالي انتشار الأمراض والأوبئة كالطاعون وارتفاع نسبة الوفيات (مثل الطاعون الأسود الذي شهدته مدينة لندن سنة 1665 والذي أدى إلى هلاك ربع سكان المدينة).
- في هذه الفترة ظهرت بعض التجهيزات التي لم تكن معروفة من قبل مثل دار المدينة (البلدية)، دار السوق (الغرفة التجارية) ودار النقابة (النقابات المهنية)،بالإضافة إلى الجامعات ومن أشهر الجامعات التي ظهرت في القرن الثاني عشر جامعة باريس.
- نتيجة لمساحة المدينة المحدودة أصبح من الصعب توسع المدينة أفقيا فاتجهت المباني الى التوسع العمودي حيث وصل ارتفاع المباني إلى 4 أو 5 طوابق، كما ظهرت الازدواجية الوظيفية في المساكن فكان غالبا ما يضم المسكن ورشة أو مكتب أو دكان.
- اختصرت مواد البناء على المواد المحلية كالطوب والحجارة بالإضافة الى مواد البناء القابلة للاشتعال مثل القش والخشب ما أدى إلى انتشار الحرائق لان البنايات جد ملتصقة ببعضها البعض (مثل حريق مدينة لندن سنة 1666 والذي دام مدة 20 يوم). [24]

من أهم المدن الإقطاعية في أوروبا مدينة لندن في إنجلترا، مدينة برن في سويسرا، ومدينة ناردن في هولندا، ومدينة مالينز في بلجيكا.

[24] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:62-74.

مخطط رقم 03: مخطط مدينة مالينز في بلجيكا

المصدر: حليم حسين عارف وآخرون، ص:76.

3-2-2 المدينة الإسلامية:

إذا كانت حياة المدن قد تدنت في أوروبا خلال العصور الوسطى، فقد ازدهرت في بلاد العرب، حيث كان للفكر الإسلامي التأثير البالغ على عمران هذه المدن،فقد بدأ تخطيط المدن الإسلامية منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب التي أصبحت المدينة المنورة، حيث أصبح للمسلمين مدينتهم الأولى، وكان تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم كبيرا جدا على تخطيط المدينة، ثم أسس العرب المسلمون الكثير من المدن الإسلامية أثناء الفتحات الإسلامية وصنفت هذه المدن تبعا لوظائفها إلى: معسكرات حربية مثل البصرة والكوفة والقيروان، مراكز إدارية كمدينة واسط في العراق، وعواصم الدول كالقاهرة وبغداد وفاس، مراكز للحكم مثل القدس ودمشق ،والتي ارتبطت بالمذاهب الدينية مثل كربلاء والنجف.[25]

اهم العوامل التي أثرت على تخطيط المدينة الإسلامية:

- **العامل الديني:** الذي أثر تأثيرا بالغا على العناصر العمرانية والمعمارية للمدن، حيث اعتمد المسلمون على القرآن والسنة فمثلا أخذوا عن الحديث (لا ضرر ولا ضرار)، فأثر هذا الفقه على تخطيط المدن والشوارع وحدد درجات الخصوصية في الأماكن العامة، وحدد أماكن وضع المباني التي تضر الناس كالمصانع والأفران، والتي تسبب نوع من الضجيج، حيث كانت تبنى بعيدا عن الأحياء السكنية.
- اتساع نطاق الإمبراطورية الإسلامية من الهند إلى المغرب ومن إلى الأندلس إلى إفريقيا الاستوائية، تعدد مواد البناء واختلاف المناخ والتضاريس الجغرافية.
- تأثير بقايا الحضارات السابقة في البلدان التي وصل إليها الإسلام مثل الحضارة الرومانية.

[25] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:28-29.

العناصر التخطيطية المشتركة للمدن الإسلامية القديمة:

- عرفت المدن نوعين من التخطيط الأول دائري، والثاني ذو محاور متعامدة ومع أن النوعين مختلفين في الشكل، إلا أن العناصر والمكونات العمرانية لا تختل.

المخطط رقم 04: مدينة بغداد كمثال للمدينة الإسلامية الدائرية المخطط رقم 05: مدينة القاهرة الفاطمية كمثال للمدينة شبه المتعامد

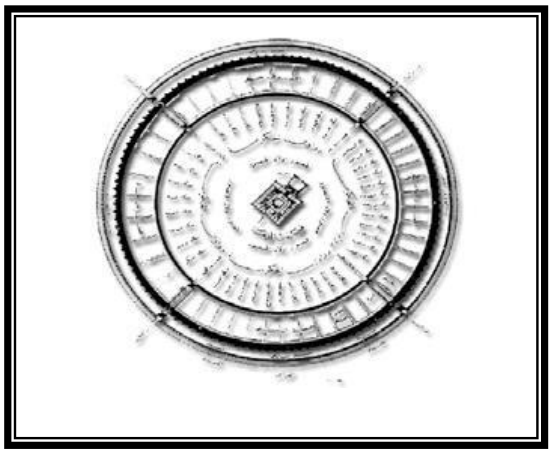

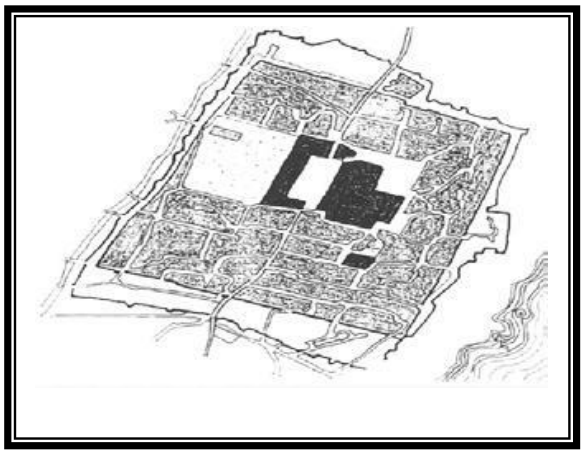

المصدر: https://raha-ac.com/

- نواة التغيير العمراني كانت بناء المسجد في وسط المدينة، وشق طرق رئيسية تصله بالضواحي.
- تميزت بوجود ثلاث أنواع من الشوارع: شوارع رئيسية ذات ملكية عامة يصل عرضها الى 7م عريضة ومستقيمة، هذه الشوارع يتفرع منها شوارع ثانوية خاصة بكل حي (قبيلة) يصل عرضها الى 5م، وهي شوارع ضيقة وملتوية لعدم خضوعها لفكر تخطيطي مسبق، لتوفير الخصوصية ولأسباب دفاعية، ثم تتفرع من الشوارع الثانوية شوارع ثالثية يصل عرضها إلى 3 م وهي عبارة عن ممرات تصل إلى أبواب المنازل تسمى بالأزقة أو الدروب.
- حول المسجد أنشأت النواة بتخطيط محلات سكنية تشكل شوارع تجارية متخصصة (الحدادة، النجارة،العطارة) صغيرة ومسقفة، ثم بقية المنازل التي قسمت الى أحياء كل حي لقبيلة معينة.
- بعد المنطقة السكنية نجد ساحة صغيرة تقام فيها صلوات العيد والتجمعات المختلفة، بالإضافة الى الأسواق الأسبوعية والموسمية (لا تضم المباني) والمذبح وأماكن لاستقبال الضيوف.
- إضافة إلى اختيار الموقع المحصن طبيعيا تم إنشاء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون.
- تعتبر المدينة الإسلامية نموذجا للمدن المتراصة مثل المدينة الأوروبية الإقطاعية حيث تكون فيها المباني ملتصقة ببعضها البعض لعدة أسباب أهمها: ندرة العقار الحضري لان المدينة محاطة بالسور، تدعيم

الروابط الاجتماعية والحفاظ على الخصوصية (l'intimité)، ومن اجل التقليل من الفراغات لتوفير الظلال والرطوبة (نظرا للمناخ السائد). [26]

أما بعد الفتوحات الإسلامية فقد طرأت العديد من التغييرات على مخطط المدينة الإسلامية، فقد بدء التغيير العمراني في المدينة الإسلامية في العصر الأموي (وعاصمتها دمشق) نتيجة تحول نظام الحكم إلى النظام الملكي الوراثي ما أدى إلى:

- بناء القصور إلى جانب المساجد في مركز المدينة، البناء في الأسواق ونقلها الى مراكز المدن.
- بناء التجهيزات المدنية كالزوايا والبيمارستانات (المستشفيات قديما) والخانات (الفنادق)على طول الشوارع الرئيسية التي تربط الضواحي بالمركز.
- عدم بناء الأسوار بل كانت محصنة طبيعيا باختيار موقع جيد،
- إحداث العديد من العناصر المعمارية الجديدة مثل الأقواس والقبب التي وصلت في آخر عهد الدولة الإسلامية(الأندلس) الى مستويات عالية من الدقة والروعة.[27]
- ظهور فقه البنيان وهو مجموعة قواعد فقهية تراكمت بمرور الزمن نتيجة لاحتكاك العمران والمجتمع[28]، وقد قسم فقه البنيان أحكام البنيات إلى أربع أقسام رئيسية:
  - **بناء الواجب:** مثل المسجد، بناء حصون للدفاع عن ديار المسلمين.
  - **بناء مندوب:**مثل الأسواق لتسهيل حركة الناس وعدم البحث عن السلع.
  - **بناء مباح:**مثل بناء المساكن لحفظ النفس والمال والعرض.
  - **بناء محضور:** الملاهي، ودور السكر والبناء على المقابر وفي أرض الغير.[29]

3-3 مدينة عصر النهضة الأوروبية (من القرن 16 إلى بداية القرن 18) مدينة الفن:

أثناء هذه الفترة استمرت المدينة الإسلامية في التطور والازدهار في ظل الدولة العثمانية إلى غاية سنة 1922 (تاريخ سقوط الدولة العثمانية)، أما المدينة الأوروبية الإقطاعية فقد انتهى عهدها مع ظهور البرجوازية والرأسمالية في المجتمع الإقطاعي، بعد أن تحول الفلاحون الإقطاعيون إلى التجارة.

ففي القرن 16م حدثت النهضة الأوروبية التي كانت ثقافية بالدرجة الأولى،انطلقت من مدينة فلورنسا الإيطالية وبدأت تحدث تغيرات في الهيئة المعمارية والعمرانية للمدن إذ أصبحت الإمكانيات المادية متاحة لإنشاء الخدمات التي غابت في المدينة الإقطاعية وعادت المدينة ذات المخطط المنتظم تظهر من جديد.

---

[26] خلف الله بوجمعة، المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، ص: 48-51.
[27] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:29-32.
[28] مسفر بن علي القحطاني، مدخل الى فقه العمران، 2008، ص:1-9 .
[29] محمد عبد الستار عثمان، نفس المرجع، ص:34.

العوامل المؤثرة على تخطيط المدن الأوروبية في عصر النهضة: هي أربعة عوامل:

- نتيجة لرغبة الحكام في استعراض نفوذهم وسلطانهم، كان لتنافسهم الأثر الكبير في إصلاح وتجميل المدن، وبالتالي فقد شجع الملوك الفن والفنانين في كل المجالات (رسم، نحت...)، أي التخلي عن التشكيلة العمرانية المجتمعية والاعتماد على التشكيل المعماري الذي يدل على العظمة والقوة.[30]
- اختراع البارود وقذائف المدفعية الحديدية أثر على النسيج العمراني للمدن وعلى موضعها،حيث أدى الى تغيير شكل السور الدائري إلى الشكل النجمي (مثل سور مدينة نيس) ثم إزالته نهائيا، وأصبحت المدن الواقعة على هضبة عالية أو في قمة صخرة أهدافا واضحة وسهلة المنال.
- الانتقال من النسيج العمراني الاجتماعي لمدينة العصور الوسطى إلى النسيج العمراني الملكي، الذي يعبر عن مظاهر القوة والعظمة، وجعل تخطيط المدن يركز على النواحي المعمارية أكثر من التخطيطية.[31]
- مساهمة الكنيسة في الإنشاء والتخطيط بالاعتماد على الطراز الباروكي الذي كان عملا بالجملة يتم دفعة واحدة من طرف مهندس معماري واحد (فهو مستمد من فكرة إنشاء القصر طراز واحد ملكية واحدة مهندس واحد ومنفذ واحد)،هذا الطراز الذي يتميز بالتركيز على:
  - الفخامة الشعبية والعودة إلى المباني التذكارية للمدينة.
  - إعطاء لكل شكل ولكل مساحة مفتوحة محور.
  - تركيز السلطة في محاور الطرق الرئيسية.
  - تزيين الأسقف بالأشكال الضخمة للمناظر ما يعطي انطباعا خادعا بالاتساع.
  - إنشاء الحدائق الشاسعة مثل حديقة قصر التريانون في مدينة فرساي في فرنسا.[32]

[30] Jean-Louis Harouel, histoire de l'urbanisme, presses universitaire de France, paris,1981, p : 27.

[31] فتحي بشير، المنهجية الكلاسيكية في التشكيل المعماري، مجلة المهندس السوداني، العدد الثاني، ص:1.

[32] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:34.

الصورة رقم 10 : حدائق قصر التريانون في فرساي على الطراز الباروكي

المصدر: https://www.ootlah.com/ar/attractions-FRcdg-oth6015-versailles-palace-entry-ticket-with-gardens-the-trianon-estate.html

- **<u>اهم العناصر التخطيطية للمدينة الأوروبية في عصر النهضة:</u>**أثناء هذه الفترة ظهر نوعين من المدن مدن إقطاعية أدخلت عليها تعديلات وتقنيات جديدة، ومدن جديدة بنيت كملاحق لقصور الملوك على الطابع الباروكي، حيث سنتناول مخطط مدينة فرساي كمثال على مدن عصر النهضة التي بنيت كملاحق للقصور، حيث ضمت مدينة فرساي أثناء عصر النهضة:

- تم بناء قصرالتريانون وحديقته في مقدمة المدينة فظهرت المدينة كملحقة بالقصر.
- ظهور عنصر جديد في مدينة عصر النهضة وهو الميدان الذي يزين بالنصب التذكارية، حيث يقابل الواجهة الرئيسية لقصر التريانون ساحة المحاربين يتوسطها تمثال لويس الرابع عشر.
- هذه الساحة ينطلق منها ثلاث شوارع رئيسية جد واسعة ومصفوفة بالأشجار على شكل مروحة، وبالتالي فهي تعتبر العنصر العمراني المولد لمخطط المدينة المحوري والمتناظر.
- الاعتماد على الشوارع الواسعة لظهور المركبات وتسهيل حركة الجنود ولدعم الجانب الجمالي للمدينة حيث أصبح الشارع العريض رمز المدينة الباروكية.
- بين هذه الشوارع الثلاثة نجد إسطبلات الخيول الملكية، وحيين لهما مخطط شطرنجي الشمالي حي نوتر دام نسبة للكنيسة التي يضمها، وجنوبا حي سان لويس نسبة للكنيسة التي يضمها، بناهما لويس الرابع عشر لإيواء الخدم وعمال القصر، ويمثلان مدينة فرساي في عصر النهضة.

- تظهر على أطراف الشوارع الرئيسية الأبنية الهامة كالكنائس والمسارح والبورصة (السوق الملكية للأوراق المالية) والساحات المخططة ذات الشكل الهندسي المنتظم كالمربع والمستطيل.
- أثناء عصر النهضة أصبحت المساحات الخضراء ضرورة في المدن، بعد أن انعدمت في مدن العصور الوسطى، حيث عوضت الأشجار الأسوار وظهرت المساحات الخضراء العامة الى جانب الخاصة، حيث أن أكثر من 50% من مساحة مدينة فرساي أثناء عصر النهضة كانت عبارة عن حدائق.
- عوضت الأسوار التي أصبحت غير فعالة بمساحة فارغة حول المدينة تسمى الأرض الغير مخصصة للإنسان مشغولة بالمدفعية الحربية.

المخطط رقم 06: مخطط مدينة فرساي سنة 1746 م

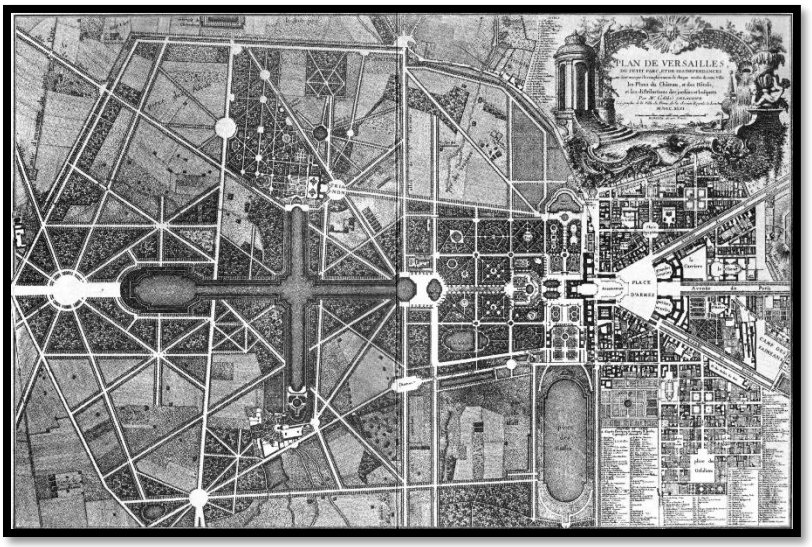

المصدر: https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Plan_de_Versailles

إلا أن هذا التخطيط كان له عدة نقاط سلبية منها:

- الإسراف في اتساع الشوارع وما يتبعه من إزالة المباني والتجمعات، حيث كان الفصل بين جانبين متشابهين في الوظيفة بشارع عريض.
- الاهتمام بالبعد الجمالي على حساب الناحية العلمية، فالطابع الباروكي هو أسلوب فني يتناول أسلوب حياة البلاط الملكي، ويهمل الوحدات السكنية العامة.
- القضاء على التراث والقيم التاريخية في الأحياء الزائلة.

النظريات التخطيطية للمدن التي ظهرت أثناء عصر النهضة:

ظهرت منذ بداية عصر النهضة أفكار عن المدينة المثالية ذات الشكل المنتظم، هذه المدن المثالية لم تتحقق إلا في حالات نادرة مثل مدينة Urrbino في إيطاليا ومدينة Arras في فرنسا، من اهم هذه النظريات:

- المدينة الشعاعية الحلقية لليون باتيستا، الذي أكد على مميزات الخط المنحني في مخططات الشوارع وأفضليته عن الخط المستقيم، وعلى ضرورة وجود نصب أو مبنى هام في نهاية الشوارع المستقيمة، وعند تغير الاتجاهات في الشوارع المنحنية،وأكد على تركيز الأبنية العامة عند محاور المدينة الرئيسية.
- المدينة النجمة للمهندسين لوي أتيستيو جيورجي ومارتيني اللذين اختارا لمدينتهما المثالية الشكل الهندسي المسور، وكانت للأولى 16 ضلع على شكل نجمة، وتقع الأبواب في زوايا المضلع،وتتجه الشوارع من هذه الأبواب نحو المركز حيث تتوضع المؤسسات الرئيسية للمدينة.
- محاولة الدمج بين المخطط الشطرنجي والحلقي من طرف المهندسين ساكاموري وفاسوري.

3-4 مدينة الثورة الصناعية وما بعد الثورة الصناعية (نهاية القرن 18 والقرن 19م):

حدثت الثورة الصناعية في أوروبا في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 م بعد أن تغيرت الآلات المستخدمة في الصناعة والتي تعمل إما بتأثير الرياح أو المياه أو بالقوة الجسدية للإنسان بالآلة الأكثر تطوراً والتي تعمل بالبخار، انطلقت من إنجلترا وصاحبتها عدة تطورات اقتصادية فكرية وتكنولوجية كان لها تأثير كبير على الجانب العمراني ومثلت بذلك بداية عهد جديد.

فظهور الآلات البخارية واستخدامها في الصناعة، وظهور السكك الحديدية، التطورات التقنية واستعمال الكهرباء والسيارات، أدى كل ذلك إلى تغير جذري في حياة الإنسان، وفي محيطه المعاش فتحول العمل اليدوي إلى ميكانيكي، وتحولت الورشة الصغيرة الملحقة بالمسكن إلى المصنع الكبير، وتحول الشعب الأوروبي من مجتمع زراعي إلى صناعي، يبحث عن أسواق خارجية لمنتجاته.

3-4-1 بالنسبة إلى المدن الأوروبية:التحولات العامة الناتجة عن الثورة الصناعية:

- تغيير العلاقة بين المدينة والريف فقد سمحت الآلة بتعويض اليد العاملة في المزارع، ما أدى إلى هجرتها إلى المدن لتوفر فرص العمل فيها.
- تسارع وتيرة التحضر في العالم حيث ارتفعت نسبة التحضر في العالم من 11 % سنة 1800 إلى 30 % سنة 1950.
- فقدان التلاحم الاجتماعي نتيجة سيطرة الرأسمالية التي جعلت كل الطبقات الاجتماعية في تصادم اقتصادي، وتطور الوسائل والمواد التي من شانها إنتاج المدينة.[33]

التحولات العمرانية الناتجة عن الثورة الصناعية:

[33] مصطفى فواز، نفس المرجع، ص:40-47.

- إلغاء الأنماط القديمة المتحكمة في تنظيم المدن (التقاليد والفن) من اجل تكريس الأنماط الجديدة المتمثلة في الإنتاج وتحقيق أكبر قدر من الربح.
- توسع المدن اللامحدود بسبب تحسن الظروف الاقتصادية وانتهاء دور الأسوار، خاصة على طول محاور الطرق،وعلى طول السكك الحديدية، ما جعل المدينة ملتقى لطرق المواصلات (la ville carrefour) نتيجة ربطها بأماكن استخراج الثروات (المناجم) والإنتاج (المصانع) والأسواق.
- تحولات عميقة في النسيج الحضري للمدن، نتيجة ظهور مجالا حضرية جديدة مثل المصانع، والضواحي إلى جانب المصانع نتيجة الهجرة الريفية،أماكن تخزين السلع، محطات النقل، تجهيزات جماعية والسكن الجماعي الذي كان يسمى بسكن الكتلة (logements de masse).
- ظهور التكرار في عملية البناء (الوحدة) نتيجة تصنيع البنايات، ونتيجة استعمال مواد بناء جديدة تعوض التقليدية المحلية مثل الإسمنت والزجاج والخرسانة والهياكل المعدنية،هذه المواد التي تنتج صناعيا (متماثلة وبكميات كبيرة) والتي تمكنت من تجسيد أعمال استثنائية ترمز الى القوة والتفوق التقني مثل برج إيفل في باريس 1889 وقصر الكريستالcrystal palaceفي لندن 1851.[34]

الصورة رقم 11 :قصر الكريستال المبني من الزجاج والفولاذ في لندن.

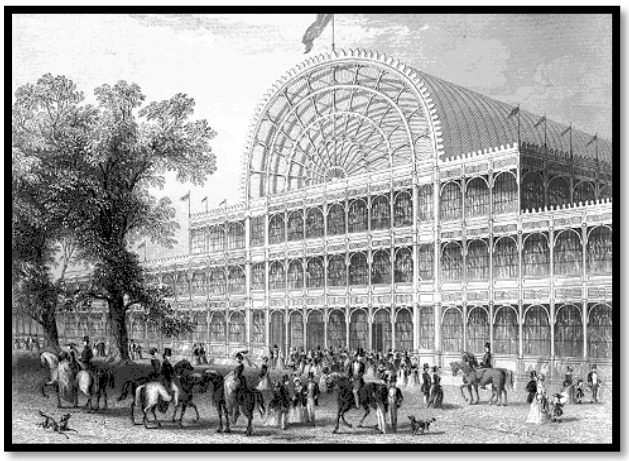

المصدر: https://www.britannica.com/topic/Crystal-Palace-building-London

- البنية المزدوجة التي تتكون منها المدينة، حيث يوجد نوعين من الإحياء تختلف اجتماعيا ومورفولوجيا الأحياء البرجوازية في المركز، وأحياء العمال في الضواحي بجوار المصانع والمستودعات.
- تدعيم الازدواجية عن طريق التحولات الحضرية الهادفة إلى إعادة هيكلة الطرق وتوفير الشروط الصحية، كأعمال George Haussmanفي مدينة باريس الذي أنجز 100 كلم من الطرق بتهديم 25ألف منزل

[34] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:102.

وبناء 70 ألف جديدة في الضواحي وترحيل الحرفيين من المركز إلى الضواحي، ليترك المركز للبرجوازيين وذوي الدخل المرتفع.

- انعدام التنظيم الوظيفي والشكلي للمدن مقارنة مع مدن عصر النهضة، هذا التنظيم المبني على الملكية الفردية للعقار الحضري التي أدت إلى التجزئة العقارية، والى بناء القطع أرض بصورة غير منتظمة، فالأشكال مختلفة من المخطط إلى مواد البناء الطراز والألوان.

- ـ لقد كانت مخططات المدن عشوائية بصورة عامة تعكس من خلالها أوضاع المصالح الفردية حيث قسمت إلى مناطق فقيرة للمستغَلين وأخرى غنية للمستثمرين مع التباين الكبير في نوعية الأبنية وكثافة السكان ونوعية الخدمات.

- ظهور المضاربة العقارية، فالأراضي ذات الموقع الجيد المجهزة جيدا والمزودة بالشبكات (النقل الماء والكهرباء) ترتفع أسعارها عن الأراضي الواقعة في الضاحية ما يؤدي الى عدم استقرار الأسعار.

- تغير طبيعة المنتجين للإطار المبني، من المعماريين والفنانين فقط إلى المهندسين، التقنيين، المقاولين، وكل منهم يبني لاحتياجات مختلفة ما أدى إلى تغير في المنتوج المبني.

- تزايد سكان المدينة بصفة كبيرة وفجائية مع عدم وجود قوانين تنظم استغلال العقار الحضري، جعل معظم الأحياء السكنية مكتظة ومعظمها تنقصه الشروط الواجب توافرها بالمسكن، من حيث عدم تمتعه بالقسط الضروري من الهواء والشمس ووجود حديقة، وتوافر الهدوء والخصوصية، ونقص المساحة.

- تقلص المساحات الخضراء وأماكن الترفيه بسبب الزخم والاكتظاظ، ويسبب الفكر المسيطر آنذاك والذي يهتم بكل ما له مردودية اقتصادية فقط،وتخريب البيئة المحيطة للمدن بسبب التلوث الناتج عن المصانع وعن النقل وبسبب التوسع اللامحدود للمجال الحضري.[35]

كل هذه التطورات والتغيرات رافقتها سلبيات واختلالات:

- **من الناحية المجالية:** انقطاع في استمرارية المدينة ما بين النواة الأولى وتوسيع المدينة، وظهور مشاكل حركة المرور بالرغم من مشاريع إعادة الهيكلة والتحديث، حيث كانت مدن الثورة الصناعية تعاني من مشكلة المرور الناتجة عن:

- انعدام التخطيط نتيجة التوزيع غير المنتظم لجميع عناصر المدينة.
- تهالك شبكات الطرق التي تنتمي إلى عصر ما قبل السيارة.
- كثرة التقاطعات المعرقلة للمرور، بحيث أن كل منها تشكل نقطة خطر وتصادم.

35 Maouia Saidouni, op-cit,p : 43-48.

- افتقار شبكة الطرق داخل المدينة إلى المساحات اللازمة للوقوف والتوقف.

بالإضافة الى غياب المساحات الخضراء وانعدام الاهتمام بالجوانب الجمالية للمدن، اختلال التوازن بين المدينة والريف، وانتشار الصناعة في مراكز المدن ما أدى الى عشوائية المخططات.

- **من الناحية العقارية:** ظهور ضغوطات على العقار وتزايد الطلب على الأراضي وبروز إشكاليه التمدد الحضري والمضاربة العقارية بسبب بروز الفوارق بين المركز والضاحية.
- **من الناحية الصحية:** انتشار الأمراض والأوبئة والتلوث الهوائي والمائي الذي تسببه المصانع والسيارات، تكدس السكان في الأحياء المخصصة للعمال ذات المخطط الموحد، نقص النظافة على مستوى مختلف أنسجة المدينة، والتوسع على حساب الأراضي الزراعية.
- **من الناحية الاجتماعية:**إلغاء الروابط الاجتماعية بين السكان وسيطرة المنفعة الاقتصادية، انتشار الطبقية والتمييز العنصري، زيادة نسبة الجريمة في المدن وتضخم عدد سكان المدن بسبب النزوح الريفي وزيادة نسبة المواليد.

هذا الانفجار العمراني أدى إلى اختلال في النظام الوظيفي وفرض تحولات جذرية على المدن التاريخية، وخلق واقع جديد لا يمكن للنظريات القديمة التعامل معه، وهذا ما أدى إلى ظهور جذور النظريات الحديثة في تخطيط المدن لمعالجة هذه السلبيات وتكييف المدينة مع هذه التحولات، من أهم هذه النظريات:

- **نظرية المدينة الخطية أو الشريطية أو الممتدة للمهندس المدني الإسباني ورجل الأعمال Soria y mata1882:** التي تهدف إلى محاولة معالجة مشكل المرور في المدينة الصناعية من خلال إلغاء الشكل المركزي للمدينة، حيث كان تصوره لتخطيط المدينة في الاتجاه الطولي، باعتبار أن الخطوط المستقيمة هي الأنسب لتمد شبكات الطرق والمرافق العامة.[36]

المخطط رقم 07 : مخطط المدينة الخطية لسوريا ماتا .

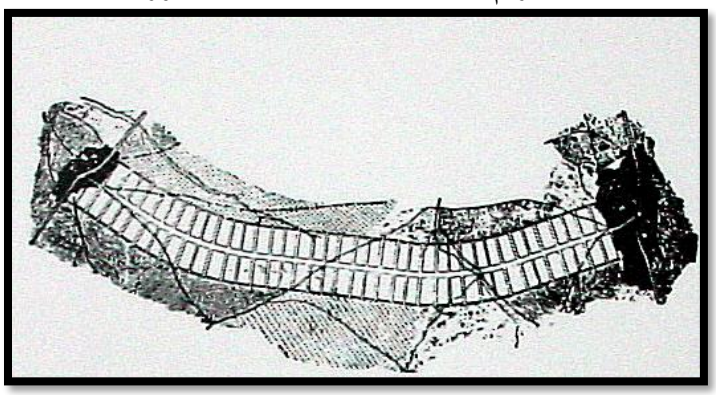

المصدر:/https://issuu.com/47473/docs

[36] احمد عفيفي، نظريات في تخطيط المدن، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 16-23.

- **النظرية العامة للعمران للمهندس الاسباني 1867cerda Ildefonso:** هذه النظرية التي تعتبر المدينة كمادة للتفكير للوصف للتفكيك وللتحليل ثم للتدخل والتركيب وهي طريقة علمية لتناول المجال الحضري تستثني كل الجوانب الاجتماعية والثقافية .[37]

هاتين النظريتين مثلتا نواة العمران الوظيفي،أما العمران الثقافي فقد انبثق عن:

- **كتاب الأسس الفنية لبناء المدن للنمساوي كاميلوسيت(Camillositte) 1889 :** الذي دع فيه الى العودة إلى تركيبة المدن التاريخية (مدن العصور الوسطى) والى إنجاز الأشكال العمرانية المعبرة عن الشخصية الاجتماعية والنفسية للسكان والذي يعتبر نقطة التحول في تاريخ تخطيط المدن الحديثة حيث قدم بعض التوجيهات وهي:
  - ضرورة العدول عن المعالجة السطحية التقليدية للمدن.
  - الدعوة إلى ضرورة ربط المباني في علاقة توافقية عضوية
  - تصميم الشوارع والميادين على اعتبار أنها حيز هو في حد ذاته عنصر من عناصر المدينة. [38]
- **كتاب نحو الغد (Tomorrow) لإبنزير هاورد (Ebeneserhoward) 1898:**والذي طور نظرية المدن الحدائقية في بداية القرن 20.[39]

3-4-2 بالنسبة إلى المدن العربية:

في النصف الأول من القرن 19 ونتيجة الثورة الصناعية تحولت المدن الأوربية الى مراكز صناعية تبحث عن أسواق لتصريف منتجاتها ولذلك تم تقسيم البلاد العربية بعد انكسار الإمبراطورية العثمانية بين الدولتين المنتصرتين فرنسا و إنكلترا ونتيجة لذلك انتقل الأسلوب الأوروبي في تخطيط المدن قصراً إلى الدول العربية.

ولقد شجعت السلطات الاستعمارية هجرة المعمرين إلى هذه البلدان، وقامت بتخطيط أحياء جديدة ذات طابع أوروبي إلى جانب مراكز المدن التاريخية الإسلامية، حيث ظهرت إبان الاستعمار البريطاني في القاهرة أحياء جديدة مثل (الجاردن سيتي)مقلدة شكلاً ومضموناً المدن الحدائقية الإنجليزية.

كما شجعت على إقامة العديد من الصناعات وأنجزت الطرق والهياكل القاعدية التي تمكنها من نقل الثروات إلى خارج هذه البلدان،أما المدينة الإسلامية القديمة فقد حافظت على تكوينها المعماري والعمراني رغم إدخال بعض التقنيات الحديثة من ماء وكهرباء والطرق العريضة.

---

[37] Laurent coudroy, op-cit, p : 18 .

[38] حليم حسين عارف وآخرون، نفس المرجع، ص:74-76.

[39] احمد عفيفي، نفس المرجع، ص: 33.

5-3 المدينة الحديثة (النصف الأول من القرن العشرين):

بسبب كل السلبيات التي صاحبت الثورة الصناعية بالإضافة إلى الحروب العالمية الأولى والثانية والتي أدت إلى تهديم معظم المدن الأوروبية، أصبحت مدن كل العالم تعتبر كعضو مريض يحتاج إلى المعالجة فظهر في بداية القرن 20علم العمران الذي يعتبر كتخصص نتج كرد فعل لكل الاختلالات التي تعاني منها المدينة من شأنه ترتيب وإعادة بناء وتنظيم المدن.

حيث ظهرت العديد من التيارات الحديثة في العمران أهمها العمران الثقافي الذي ظهر كرد فعل على مدينة الثورة الصناعية، والعمران الوظيفي الذي حاول العادة إعمار المدن المنهارة من الحرب العالمية الأولى والثانية، ونتيجة لذلك ظهر عدة نماذج لمدن مثالية تابعة للتيارين:

1-5-3 النماذج التخطيطية للمدن التابعة للتيار الإنساني:

- **نموذج المدينة الحدائقية (la cité jardin) :** الذي جاء في كتاب المدن الحدائقية المستقبلية لابنزير هاورد سنة 1902، وهو الكتاب الذي جاء بعد كتاب نحو الغد، حيث تعتبر من أهم نظريات تخطيط المدن في التاريخ العمراني لأنها نواة المدن الجديدة الحديثة والمدن المستدامة المعاصرة، و التي تهدف الى محاولة الدمج بين إيجابيات الريف والمدينة من اجل معالجة مشكل التلوث في المدينة الصناعية، فهي عبارة عن مدينة صغيرة تنتشر فيها المساحات الخضراء و محاطة بحزام من الريف، حيث أنجزت أول مدينة حدائقية سنة 1903 و هي مدينة لتش وارث في بريطانيا. [40]

المخطط رقم 08 و09 : مخطط المدينة الحدائقية لابنزير هاورد .

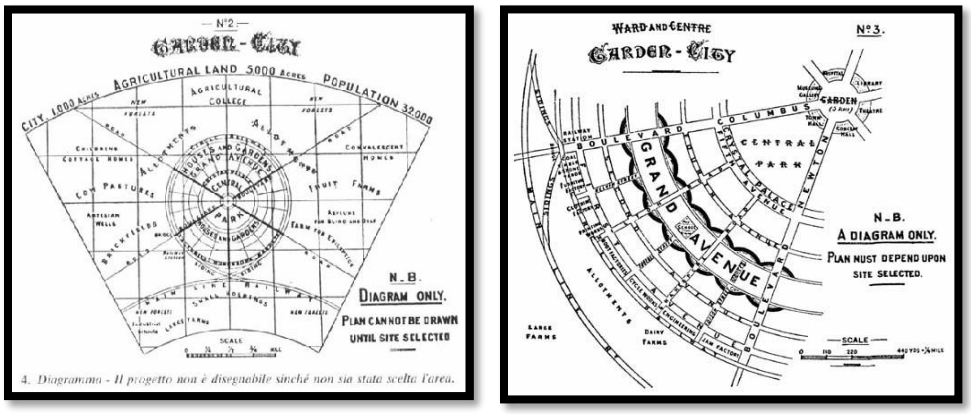

4. Diagramma - Il progetto non è disegnabile sinché non sia stata scelta l'area.

المصدر: https://www.tourisme93.com/concept-cites-jardins.html

[40] احمد عفيفي، نظريات في تخطيط المدن، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 34.

2-5-3 النماذج التخطيطية للمدن التابعة للتيار التقدمي:

- **المدينة الصناعية لطوني غارنيي (Tony garnier) 1917 :** التي جاء بها في كتابه المدينة الصناعية سنة 1904، وهي مدينة يتم الفصل فيها نهائيا بين المناطق السكنية و المنطقة الصناعية من خلال وضع أحزمة خضراء، ويبقى الرابط الوحيد هو الطرق الرئيسية والسكك الحديدية، حيث لم تتحقق أبدا.
- **المدن التابعة أو المدن الضواحي (les villes satellites) 1922 لريموند انوين :** فبعد ظهور نظرية المدن الحدائقية ظهرت نظرية المدن التابعة حيث تم فيها فصل حركة العمل عن حركة السكن من اجل الحصول على نتائج احسن، فهي عبارة عن مدن تابعة لمدينة رئيسية هي المدينة الأم التي تضم مختلف التجهيزات والنشاطات الاقتصادية أما المدن التابعة فتقتصر على وظيفة السكن ما يجعل منها مدن مراقد .[41]

المخطط رقم 10 : مخطط المدن التابعة لرموند انوين

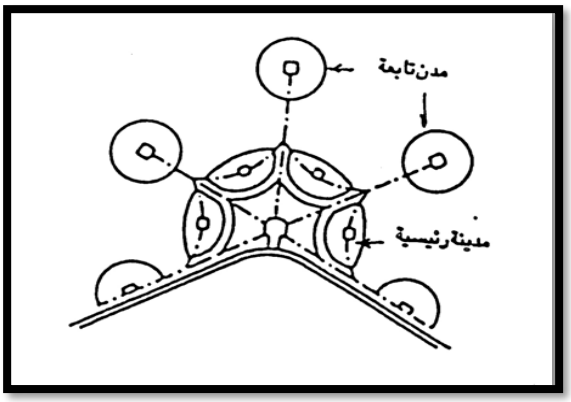

المصدر: https://mail.almerja.com/more.php?idm=198086

كما أنها مدن لا تضم أي نوع من المواصلات الداخلية وتقتصر شبكة الطرق فيها على الطرق التي تربطها بالمدينة الأم، والتي تكون سريعة ومريحة.

- **المدينة المشعة أو المدينة المشرقة أو المضيئة (la ville radieuse) للوكوربيزييه 1933 :**

وهي عبارة عن عمارة سكنية واحدة مبنية من الخرسانة المسلحة طولها 137 م عرضها 24 م وارتفاعها 56 م، ترتكز على 34 عمود لتحرير الطابق الأرضي للمساحات الخضراء ومواقف السيارات، تضم 337 غرفة ومزودة بكل المرافق الضرورية، وبالتالي فهي عبارة عن مدينة في بناية واحدة كل رواق فيها يمثل شارع، وهذا ما جعل هذا النموذج العمراني الحديث يتعرض إلى الكثير من النقد وأطلق عليه قفص الأرنب، وقد تم بناء 4 نماذج في فرنسا و1 في ألمانيا وهي حاليا عبارة عن معالم تاريخية.

[41] Stephenson Gordon, L'expérience britannique des villes-satellites et des villes nouvelles, Habitation : revue trimestrielle de la section romande de l'association suisse pour l'habitat, n :9, 1952, p :9.

حيث نجح لوكوربيزييه في بناء أول مدينة مشعة بين سنة 1944 و1952 في مدينة مرساي وذلك من اجل إيواء السكان المتشردين وعمال السكة الحديدية .[42]

الصورة رقم 12 : المدينة المشعة في مرساي

المصدر: https://www.monsieurpeinture.com/cite-radieuse-corbusier/

- **المدن الجديدة (les nouvelles villes) 1946:** تعتبر المدن الجديدة نموذج مستحدث من المدن الحدائقية، تتغير فيه الأهداف والمبادئ، فالسبب الرئيسي لبناء المدن الجديدة في الفترة الحديثة هو محاولة معالجة سلبيات الحرب العالمية وما جاءت به من تدمير وخراب في المدن الأوروبية، أما في الفترة المعاصرة فقد تغير هدف هذا النموذج العمراني إلى محاولة التحكم في النمو الحضري السريع مثل مدينة علي منجلي في ولاية قسنطينة.

وهي مدن مخططة من حيث الموقع، الحجم، المخطط وتوزيع الوظائف و التجهيزات ، مدن ناتجة عن إرادة سياسية و متخصصة في اغلب الأحيان فمنها: الصناعية مثل مدينة Nowa hutta في بولونيا، مدن سياحية مثل مدينة la grande motte في فرنسا، مراكز بحث مثل tsukuba في اليابان، عواصم جديدة مثل برازيليا في البرازيل ، ومن اجل التحكم في النمو العمراني السريع سواء منفصلة عن التجمعات الحضرية القائمة مثل مدينة Crawly البريطانية، أو على هامش هذه التجمعات مثل مدينة كما أنها مدن متكاملة ومكتفية ذاتيا ومستقلة اقتصاديا ومجاليا أي أنها غير تابعة .

[42] احمد عفيفي، مرجع سابق، ص: 50-55.

6-3 المدن المعاصرة (من النصف الثاني من القرن العشرين الى غاية اليوم):

ما إن أفاق العالم من ذهوله بسبب تأثيرات الثورة الصناعية والحرب العالمية حتى بدأ علم العمران يعيد النظر في الأهداف التي كان يعمل على تحقيقها في الفترة الحديثة وفي النظريات التخطيطية التي ظهرت فيها، حيث بدا الاتجاه في الدول الأوروبية إلى الاستغناء عن مبادئ العمران الوظيفي لما سببه من سلبيات نتيجة اهتمامه بالكم على حساب النوع، وظهرت تيارات جديدة للعمران تعمل إلى إعادة البعد النوعي إلى المجال الحضري ، أهمها التيار الطبيعي الذي تطور الى العمران المستدام و عمران المشاريع الذي يعتمد على مبدأ المشروع الحضري .

أما في البلدان النامية بصفة عامة و العربية بصفة خاصة فلا يزال العمل بالعمران الوظيفي رغم المشاكل المعقدة التي سببها للمدن، وذلك راجع الى التبعية التي لازالت تعاني منها هاته البلدان .

1-6-3 مستويات العمران المستدام:

في الفترة المعاصرة تفطن علماء العمران إلى أن النظريات التخطيطية للمدن المثالية هو حل ليس بالواقعي، فللوصول إلى مدينة شبه مثالية لابد من المرور بمقاييس تنطلق من اصغر وحدة في المجال الحضري وهي البناية، هذه المستويات هي:

- **المقياس النقطي: (éco-opération)**

ويتمثل هذا المقياس في التدخلات النقطية على مستوى البناية(عمليات إعادة التأهيل) أو على مستوى الساحات العمومية (عمليات إعادة التهيئة)، هذه التدخلات التي تهدف الى التحكم في استهلاك الطاقة من خلال العزل الجيد للجدران والأسقف والاعتماد على الطاقات المتجددة، العمل على أقلمت البناية مع الوسط المناخي (الريح، الشمس، والضوء)، والتسيير الأمثل للماء على مستوى البناية أو المساحة العمومية.

- **مقياس الحي : (éco-quartier)**

وهو يعتبر المقياس المحلي الذي يهدف إلى تحسين نوعية إطار الحياة الاجتماعية، إلا انه ومن اجل ألا تمثل الأحياء المستدامة انقطاع اجتماعي، بل جزء حقيقي من المدينة المستدامة، أو من المدينة التي تطمح إلى الاستدامة، فانه يجب أن يتوفر مقياس أكبر يعمل على خلق الرابط بين هذه الأحياء.

- **مقياس المدينة : (les villes durables)**

المدينة المستدامة هي المدينة التي تحترم مبادئ التنمية المستدامة، وتعتبر مدينة مصدر في الإمارات العربية المتحدة من أهم النماذج المستقبلية للمدن المستدامة في العالم.

- **مقياس الجهة: (éco-région)**

وهو الأوسع والأكفأ من مقياس المدينة ،وهو مقياس استراتيجي ظهر بهدف عدم الفصل بين الريف والحضر أثناء عمليات التخطيط وتوجيهها إلى التفكير في حوض الحياة بدل الاقتصار على المجال الحضري.

3-6-2 أدوات عمران المشاريع:

عمران المشاريع هو أكثر نضجا لأنه يرى بان الوصول إلى نتيجة مثالية لن يكون بتطبيق مقاييس أو مستويات موحدة بين كل المدن، بل يتطلب وضع أدوات إستراتيجية تتأقلم مع الخصائص المحلية للمدينة وسكانها، ومن أهمها:

- **التخطيط الاستراتيجي:** هو عكس التخطيط الشامل أي انه يهتم بحل اهم المشاكل التي تعاني منها المدينة وليس كل المشاكل لان حل هذه المشاكل المهمة سوف يؤدي الى حل بقية المشاكل آليا، بالإضافة إلى انه يعتمد على الخطة إلى جاني المخطط وبالتالي فهو تخطيط مرن وليس جامد أي يقبل التغيير حسب المستجدات.
- **المشروع الحضري** : إذا كان المشروع مقاربة قديمة بالنسبة إلى المهندس المعماري ،فان هذا المفهوم أصبح يخص العمراني في بداية السبعينات ،فهو يهدف إلى الخروج من المنطق القطاعي للعمران الوظيفي وبالتالي الربط بين الأفكار و المقاربات من خلال انتهاج عمران المشاريع ،و يعتبر الأداة المستخدمة في التدخل على المجال الحضري التي جاء بها عمران المشاريع. [43]

خلاصة:

لم يتفق العلماء والمفكرين على تقديم تعريف موحد للمدينة، لكن بالرغم من ذلك يمكن الجمع بين هذه التعريفات من خلال اعتبار تجمع ذو كثافة معتبرة من السكان والبنايات في مجال جغرافي محدود، هذا التجمع له نفس الخلفية التاريخية وتتمحور فيه الحياة حول نفس التنظيم الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، حيث تتمركز فيه أنماط إنتاجية غير النمط الزراعي، كما أن البنايات تشكل نسيج مستمر وتعيش في ديناميكية مستمرة فهي عبارة عن نظام بيئي، ينمو، يتطور، ويتغير أيضا، لكن في ظل توفر الأمن والاستقرار الذي تضمنه السلطة السياسية.

كما أن تاريخ المدن ثري ومتنوع، بدأ من خمسة ألاف سنة قبل الميلاد، حيث كان عمران العصور القديمة خاضع للفكر المسيطر الخاضع بدوره لاختلاف الزمان والمكان، أما في العصور الوسطى فقد انقسم العالم الى مدن إسلامية متطورة عمرانيا ومدن أوروبية متخلفة، هذا التخلف الذي زال تدريجيا خلال عصر النهضة التي بدأت ثقافية ثم تطورت إلى ثورة صناعية اقتصادية، هذه الثورة التي كانت السبب الرئيسي في الحركات الاستعمارية التي نقلت نمط التعمير الأوروبي قسرا إلى المدن العربية الإسلامية.

أما المدن المعاصرة فهي تواجه جملة من التحديات النوعية، التي جعلت المهتمين بالمجال الحضري يتوجهون نحو وضع أدوات جديدة، تتأقلم مع المعطيات الطبيعية والاجتماعية المحلية لكل مدينة.

---

[43] Maouia Saidouni, op-cit,p : 21.

الفصل الثالث: تيارات العمران

مقدمة:

طالما تشتتت المقاربات التي تعمل على تحليل المجال الحضري، بين مختلف الاتجاهات العلمية المعاصرة، مثل: علم الاجتماع الحضري،علم الجغرافيا الحضرية، القانون العمراني، علم البيئة الحضرية، التهيئة الحضرية، وغيرها من العلوم التي انفردت بنظرياتها وفقا للأهداف الخاصة بها، حيث أن أولى محاولات الاندماج مع علم العمران كانت في بداية القرن العشرين، من نصيب علم البيئة والعلوم الإنسانية الحضرية، والتي قادت إلى الفصل بين أربعة توجهات كبرى للعمران.

حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى هذه التيارات مبرزين رواد كل تيار، أهم الأهداف التي جاء لخدمتها، بالإضافة إلى نقاط القوة التي تميز بها ونقاط الضعف التي أدت إلى ظهور التيار الذي يليه.

1- التيار الثقافي أو الإنساني أو التراثي(culturaliste ou humaniste) :

الذي ظهر كرد فعل عن سلبيات الثورة الصناعية، يركز على المحافظة على الهوية التاريخية وعلى اخذ بعين الاعتبار الأبعاد الاجتماعية أثناء القيام بعمليات التخطيط الحضري، يتزعمه كل من Stubben،Sitte،وHoward، حيث كتب Stubben كتابه الأول عن تخطيط المدن عام 1880، داعيا إلى ضرورة المحافظة على المدينة وما فيها من قيم جمالية، أماHoward فقد جاء بفكرة المدن الحدائقية.[44]

2- التيار التقدمي (progressiste) (العمران الوظيفي أو الصحي أو الحديث أو المركزي أو القطاعي):

الذي جاء من اجل إعادة إعمار المدن المهدمة من الحروب العالمية، حيث يرى مؤسسو هذا التيار أن البحث والتحليل العلمي كفيل بحل مشاكل المدن وإنسان هذه المدن على السواء،وذلك من خلال الاعتماد على الأسلوب العقلاني في اتخاذ القرارات الذي يسمح بوضع حلول موحدة لكل المشاكل العمرانية في العالم.

واقتصر تخطيط المدن من وجهة نظرهم على تنظيم المدينة وصياغة شكلها الجميل والمتناسق أي التعامل معها كوحدة معمارية، ثم وضع الأدوات الكفيلة بتحقيق ذلك والمتمثلة في مخططات تنتظر التنفيذ ، مثل مخطط لوكوربيزييه للمدينة المشعة ،حيث يركز هذا التيار على التطور التقني ، التنظيم الوظيفي للنشاطات و العقلانية في توجيه التدفقات المرورية من اجل إنشاء تجمعات حضرية قابلة للعيش ، تزعم هذا التيارCorbusier Leالذي اصدر كتاب نحو عمارة جديدة سنة 1923 و كتاب مدينة الغد 1929، ودعا الى التخلص الجذري من عمليات التخطيط

[44] احمد عفيفي، ص: 35-36.

القديمة من خلال اقتراحه لمخطط المدينة المشعة، وقد جمع LeCorbusier كل أفكار الملتقى الدولي للهندسة الحديثة (CIAM)في وثيقة تدعى ميثاق أثينا 1933 (la charte d'Athènes) ، تتلخص مبادئ هذا الميثاق في:

- الشمس، الخضورة والمجال: هي ثلاث مواد يعتمد عليها العمران لتمرير فكرة تهوية المدينة التي كانت تعاني من التكدس ورفض فكرة المجال الحضري المتكتل .
- مفاتيح العمران: تمثل أربع وظائف(Zoning): سكن، عمل، راحة، التنقل.
- المخططات هي التي ستحدد هيكل ووضعية كل قطاع من هذه الوظائف.

حيث كان التطبيق المكثف لهذا التيار بعد الحرب العالمية الثانية، أين انصب الاهتمام على إعادة بناء المدن وضرورة توفير السكن، في ظل الظروف الجديدة الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وخاصة التقنية ، التي سمحت بوضع نظام جديد لموافقة هذه الظروف « إنسان جديد في مكان جديد ».

حيث كان المبدأ الفكري له هو الاعتماد على الرجوع إلى الأشكال البسيطة والمنتظمة ، وخاصة الاعتماد على التقنيات الصناعية الجديدة في إنشاء وإنتاج المدينة ، و بالتالي الانقطاع التام والتخلي عن المدينة التاريخية والإنشاءات القديمة ، فقد هدف le Corbusier إلى موافقة الإنسان مع محيطه، وإخراجه من وضعية خانقة التي كان يعاني منها في المدينة بعد الثورة الصناعية.[45]

وكانت لمبادئ ميثاق أثينا صدى جيد وانتشار كبير، فأصبح هذا النمط دولي خاصة مع الظروف الاجتماعية و الاقتصادية المهيمنة آنذاك وتعددت أرضيات التجارب لكن خلال هذا التطبيق كان هناك تبسيط كبير حيث صاحبته العديد من السلبيات أهمها:

- خلق مدينة تكرارية ومتشتتة ، نتيجة تطبيق نفس النموذج العمراني في كل المدن.
- عمران بيروقراطي وظيفي ومركزي، صادر من السلطات المركزية وليس من إرادة السكان.
- متسلط وجامد لا يهتم بنوعية المعيشة الحضرية، بالإضافة إلى انه يعتمد على التخطيط الخطي المركزي الذي يعتمد على المخططات العامة للتعمير ، الذي لا يأخذ احتياجات السكان بعين الاعتبار.
- عمران قطاعي يفصل بين مختلف الوظائف في المدينة ما يسبب العديد من المشاكل أهمها مشكل التنقل بين أماكن السكن والعمل.
- يهتم بالكم على حساب النوع بسبب الظروف التي نشا فيها، ويلغي نهائيا البعد الاجتماعي لسكان المدن ويتعامل معهم على أساس مجرد أرقام . [46]

[45] Jean-Paul Lacaze, op-cit, p: 88-94.
[46] Jean-Paul Lacaze, op-cit, p : 88-94.

من أهم النقاد الذين أكدوا على فشل مبادئ العمران الحديث الكاتب شارل جنكيز الذي يرى في كتابه لغة فن العمارة لما بعد الحداثة الذي صدر سنة 1990 ان تاريخ وفاة العمران الحديث هو 11 جويلية 1970 في ولاية ميسوري الأمريكية وهو تاريخ هدم مشروع برويت ايغو الحائز على الجائزة الأولى في تطبيق مبادئ الملتقى الدولي للهندسة الحديثة، معتقدا بذلك أن هذا هو تاريخ انتهاء كوارث العمران الحديث. [47]

الصورة رقم 13 و14: مشروع بروث ايغو

المصدر:https://areq.net

وبالرغم من الانتقادات اللاذعة التي تلقاها هذا التيار العمراني إلا انه استمر العمل به لفترة طويلة بسبب فوضى المدن وعدم انتظام الأنشطة داخلها أثناء وبعد الثورة الصناعية ، بالإضافة إلى الحاجة الملحة الى إعادة الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث تم إعادة بناء العديد من المدن و العواصم العالمية وفق مبادئ العمران الوظيفي مثل العاصمة البرازيلية الجديدة برازيليا التي وضع مخططها لوتشيو كوستا سنة 1960 و مخطط الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية الذي وضعه دوكسياديس اليوناني سنة 1971 .

انطلاقا من هذه السلبيات أصبح هناك وعي بأن في التدخلات الجديدة على المجال الحضري ، لابد أن يتجاوز التعمير البعد المادي المحض ليشمل اهتمامات اجتماعية، اقتصادية ، بيئية وسياسية وهي اهتمامات مهمة لا يمكن تركها لإرادة المعماري أو المهندس المدني .

هكذا ظهرت تيارات جديدة مضادة تتميز بعدوانيتها للعمران الوظيفي، تدعوا إلى دراسة العلاقات الوظيفية القائمة بين المناطق داخل المدينة ذاتها وبين المدينة و الأرياف المحيطة بها وبين المدينة والشبكة الحضرية التي تنتمي لها، و بالتالي عدم اقتصار التخطيط على شكل طرق المدينة وبناياتها فقط، بل يتعداه الى دراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تربط بين سكان المدينة، وبينهم وبين نشاطاتهم الاقتصادية والترفيهية، ومنه تغير مفهوم المجال من كونه مجالا ذو أبعاد هندسية الى مجال إنساني ذو أبعاد اجتماعية وثقافية واقتصادية،من أهم هذه التيارات :

[47] https://www.dostor.org/4399910

3- التيار الطبيعي (naturaliste) (العمران البيئي أو العمران المستدام) :

بزعامة مدرسة شيكاغو الأمريكية،والذي هدف إلى الجمع بين المدينة والطبيعة، من خلال محاولة طمس الحدود بين المدينة والريف،ومحاولة دراسة المجال الإقليمي ككائن حي، حيث تم الاهتمام أولا لأمر بالأبعاد البيئية فقط ثم تعداه إلى الأبعاد الاجتماعية و الاقتصادية وظهر ما يعرف بالعمران المستدام.

ويمكن تعريف العمران المستدام بأنه محاولة التكثيف الذكي والتنظيم المتباين للمجالات الحضرية بهدف توفير نوعية للإطار المعيشي لكل السكان، دون المساس بقدرة الأنظمة الطبيعية على الإنتاج على المدى الطويل، حيث يظهر العمران المستدام اليوم كمجال يتطلب تواجه وتضافر كل التخصصات.

4- عمران المشاريع (L'urbanisme de projet):

ظهر هذا التيار في إطار التوجه نحو سياسة المدينة في الدول الأوروبية منذ ثلاثين سنة، كرد فعل سياسي على استفحال مشاكل المدن في عدد من الدول الغربية، ولاسيما مع بروز مشاكل الضواحي، هذه المشاكل التي كان السبب الرئيسي فيها العمران الوظيفي المركزي الذي يعتمد على التخطيط الخطي و القطاعي.

حيث أن سياسة المدينة هي" السياسة التي تباشرها السلطات العمومية لأجل معالجة الإختلالات المجالية والاجتماعية للمدن" ، وهي لذلك تتعلق بشراكة بين الدولة (بقطاعاتها المختلفة)، والجماعات المحلية، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني حول مشاريع محددة ،و بذلك تمثل نوعا من التعاقد الاجتماعي، لصالح السكان والمناطق المتضررة من مجال المدينة .[48]

حيث تمثل سياسة المدينة الجانب النظري لعمران المشاريع، هذا الجانب النظري الذي جاء بالمشروع الحضري كأداة للتدخل، أي أن المشروع الحضري هو الجانب العملي التطبيقي لعمران المشاريع.

خلاصة:

تمحور علم العمران حول أربعة تيارات رئيسية، أولها العمران الثقافي الذي هدف إلى معالجة سلبيات الثورة الصناعية، خاصة التلوث الإكتضاض المروري، لكن لم يستمر العمل بمبادئ هذا التيار طويلا بسبب الحروب العالمية، التي أدت ظهور تيار جديد هو التيار تقدمي، الذي كان هدفه الأول توفير الكم على حساب النوع، هذا المبدأ الذي أصبح غير فعال بمجرد انتهاء الظروف التي جاءت به، وهذا ما أدى إلى ظهور تيارات جديدة تتميز بعدوانيتها للتيار التقدمي، وتعمل على إعادة الأبعاد النوعية للمجال الحضري، أهمها العمران المستدام وعمران المشاريع.

[48] محمد بهضوض، سياسة المدينة في المغرب: تشارك وبناء تشاركي من أجل أجرأة مستدامة،وزارة السكنى والتعمير وسياسة المدينة، المنتديات الجهوية، الحوار الوطني سياسة المدينة، ماي 2012.

خاتمة:

انطلاقا من تحليل محتوى مقياس مدخل إلى علم العمران 1، المحدد من طرف الوزارة الوصية، نجد أن المقياس قد تمحور حول 3 فصول رئيسية، يدور موضوع الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان العمران مقاربة عامة، حول ثلاث نقاط أساسية، حيث تطرق أولا إلى مفهوم علم العمران لغة واصطلاحا، حسب ما وصل إليه علماء الغرب والعلماء المسلمين، ثم تحدث عن تاريخ العمران من العصور القديمة والى غاية اليوم، وأخيرا وليس آخرا تناول هذا الفصل أهداف علم العمران التي اختلفت باختلاف المشاكل التي عانت منها المدن في كل فترة، وبالتالي فالفصل الأول يمثل مدخل ممتاز للمقياس، يوضح المفهوم الرئيسي للمقياس وهو العمران، ويعطي فكرة عامة عن محتوى المقياس ككل.

أما الفصل الثاني المعنون بتاريخ المدن، فقد تمحور حول نقطتين رئيسيتين، الأولى توضيح مفهوم المدينة وأهم الأسباب والدوافع التي قادت إلى ظهور المدن، والثانية سرد تاريخ المدن بالتفصيل، وهو يعتبر العمود الفقري للمقياس، نظرا لأهميته البالغة، فمن خلاله يصبح الطالب ملما بكل الظروف التي تحكمت في ظهور وفي تخطيط المدن منذ ظهورها والى غاية اليوم، كما يصبح قادرا أيضا على التمييز بين خصائص ومميزات المدن حسب الحقبة التاريخية التي تنتمي إليها.

أما الفصل الثالث والأخير فهو يتناول أهم التيارات التي أطرت علم العمران منذ ظهور هذا العلم في بداية القرن العشرين والى غاية اليوم، مبرزا رواد هذه التيارات والمبادئ المتحكمة فيها، حيث يعتبر هذا الفصل حوصلة مفصلة لما جاء به المقياس، يمكن الطالب من التمييز بين أهم التيارات المتحكمة في هذا العلم، و يجعله قادرا على استنتاج ايجابيات وسلبيات كل تيار.

وبالتالي فمقياس علم العمران 1 بهذا البرنامج، سيتمكن من تحقيق الأهداف المسطرة له حسب البرنامج الوزاري.

المراجع التي تم الاعتماد عليها في إعداد هذه المحاضرات:

- Jean-Paul Lacaze, Introduction à la planification urbaine, Presse de l'école nationale des ponts et chaussées, Paris, 1995, p: 386.
- Zucchelli Alberto, Introduction a l'urbanisme opérationnel et la composition urbaine tome 2, Ecole polytechnichnique d'architecture et d'urbanisme d'Alger, Edition : office des publications universitaires, alger , 1983, p :485 .
- Maouia Saidouni, élément d'introduction à l'urbanisme, casbah édition, 2000, Alger,p : 271.
- J.-M. Stébé, H. Marchal (Ed), 2009, *Traité sur la ville*, Paris : PUF, Chapitre I, p. 41-89
- J. Pelletier et CH. Delfante, ville et urbanisme dans le monde, service de presse masson, paris, 1989, p : 136-137.
- Jean-Louis Harouel, histoire de l'urbanisme, presses universitaire de France, paris,1981, p : 27
- Stephenson Gordon, L'expérience britannique des villes-satellites et des villes nouvelles, Habitation : revue trimestrielle de la section romande de l'association suisse pour l'habitat, n :9, 1952, p :9.
- Laurent coudroy, Cérda et l'urbanisme, urbanisme n°312, mai2000, p : 11-15 .
- عاطف حمزة حسن، تخطيط المدن أسلوب ومراحل، دار الكتاب القطرية،1992، ص: 229.
- مصطفى فواز، مبادئ تنظيم المدينة، معهد الإنماء العربي،بيروت، 1980، ص:191.
- حليم حسين عارف وآخرون، تخطيط وتنظيم المدن بين النظرية والتطبيق، الجزء الأول، جهاز للنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، ص:153.
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص:367.
- خلف الله بوجمعة، المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، ص: 167.
- فتحي بشير، المنهجية الكلاسيكية في التشكيل المعماري، مجلة المهندس السوداني، العدد الثاني، ص:2.
- بن عبد الرحمان محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1377، ص:299.
- حسام جبار عباس، العمارة المصرية، محاضرة تاريخ العمارة، جامعة بابل، العراق، 2013، ص:15.
- احمد عفيفي، نظريات في تخطيط المدن، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص: 220.
- مسفر بن علي القحطاني، مدخل إلى فقه العمران، 2008، ص:1-9 .
- محمد بهضوض، سياسة المدينة في المغرب: تشارك وبناء تشاركي من أجل أجرأة مستدامة،وزارة السكنى والتعمير وسياسة المدينة، المنتديات الجهوية، الحوار الوطني سياسة المدينة، ماي 2012.
- البدالي المترجي، مفهوم العمران في ضوء القرآن، مجلة الاثـــر المجلد: 18 /العدد: 01 /العدد التسلسلي: 35 /جوان2021، ص:242-257.